كلمات نفعني الله بها

تأليف

أ.د. مرضي بن مشوّح العنزي

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

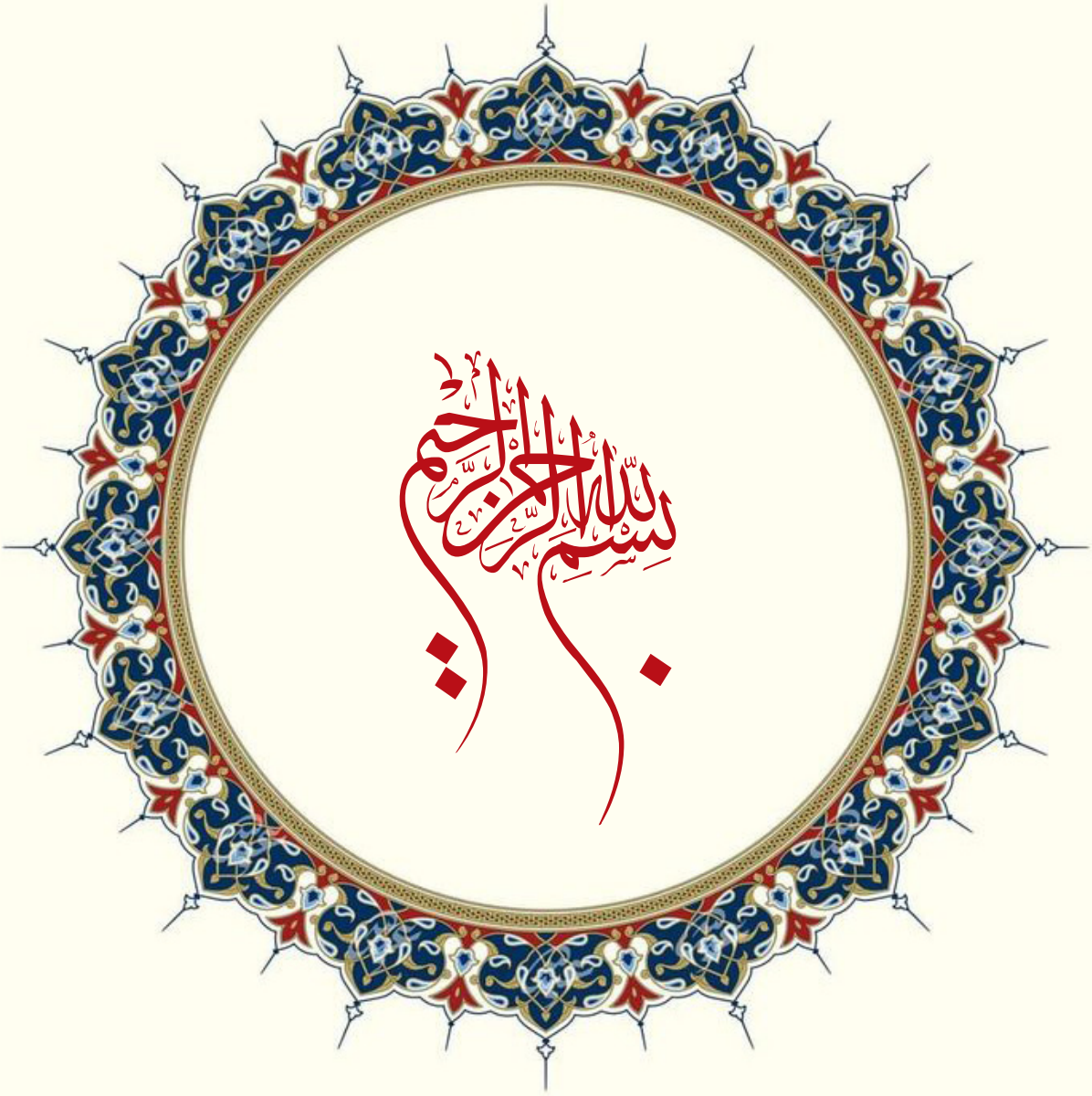
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا يخفى أثر الكلمة وأهميتها، فكل إنسان مكون من كلمات سمعها من غيره، فهو نتاج تاريخ من الكلمات التي قيلت عبر السنين ثم وصلته، ومن رحمة الله بالمرء أن يكون أرضًا خصبة فينتفع بالكلمة التي سمعها، وينفع غيره بها.

ولا يوجد شخص إلا وهو بحاجة لكلمة ترشده وتوجهه إلى الطريق الصحيحة، بخاصة في بدايات حياته، وعندما تفترق به الطرق فلا يدري أي طريق يختار!

وقد مرت بي في حياتي كلمات نفعني الله بها، -بخاصة عندما بدأت حياة جديدة أو تجربة جديدة، أو احترت في اتخاذ قرار من قرارات الحياة-، وقد ظلت راسخة في ذهني أتذكرها باستمرار،

وأنقلها لبعض الأصدقاء عندما تأتي المناسبة لها.

وهذه الكلمات -في الغالب- يحتاجها كثير، فأحببت كتابتها ونقلها لغيري؛ بخاصة لمن يعرف قدر الكلمات، وأن النفس لا تسمو ولا تنبل إلا بالكلمة الثمينة السمينة.

ولم أرتبها، بل تركت النفس على سجيتها، فكلما تذكرت كلمة مما نفعني الله بها كتبتها، وشرطي في هذه الكلمات التي أكتبها هنا، تلك التي ظلت عالقة في ذهني عبر الزمن، وأذكرها من وقت لآخر، أو عندما تأتي لها مناسبة، فإلى الكلمات، أسأل الله أن يبارك فيها، ويشرح صدر قارئها لقبولها والانتفاع بها، ويكتب أجرها لي ولمن سمعتها منهم، أو قرأتها لهم، ولمن قرأها وانتفع بها ونشرها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أ.د. مرضي بن مشوح العنزي

٢٥/ ١٠/ ١٤٤٦هـ

٠٠٩٦٦٥٠٣٣٨٠٣٣٢

❋❋❋

تراكم المعرفة مع استمرار القراءة

في بداية التوجه إلى قراءة الكتب، كنت أقرأ الكتاب، وأتأخر كثيرًا في قراءته بسبب إعادة بعض الصفحات أكثر من مرة كي أفهم مراد المؤلف، وأقوم بعمل اختبار لنفسي، كم بقي في ذهني من الكتاب؟ وهذه سببت لي ضيقًا عند القراءة، بخاصة كثرة الكتب التي تنتظر دورها؛ وذات يوم اتصل بي أحد الأصدقاء، فقال: الليلة عندنا لقاء مع الشيخ فلان، المعروف بكثرة قراءته للكتب، وموسوعيته[1]، فحضرت بناءً على ثناء صاحبي -وأنا لا أعرف هذا الشيخ إلى الآن، فلم يكن مشهورًا، أو معروفًا عند كثير من طلبة العلم-، وكان من ضمن كلامه: (**لا تُعدْ قراءة الصفحة، وكونك تخرج في المرة الأولى بعُشر الكتاب أو ربعه، فهي بركة، فاستمر في القراءة، ولا ترجع إلى الصفحة السابقة، والمعرفة ستتراكم عندك مع الوقت**) كان هذا كلامه أو قريبًا منه.

(١) بعض الناس إذا أحبوا شخصًا أعطوه فوق محاسنه وبالغوا فيه، وإذا أبغضوه جردوه منها كلها، وقد رأيت في الحياة أن الغالب في الذي يبالغ في شخص أن ينقلب ضده بعد زمن، فهو شخصية غير متزنة؛ لذا على العاقل ألّا يفرح بمن يبالغ فيه ويرفعه فوق منزلته، ولا يغتر به ويبوح له بمكنون نفسه، وأسراره الخاصة، وليكن حذرًا منه؛ لأنه قد يقلب له ظهر المجن بأي وقت.

وهذا الكلام فرّج عني وفرحت به، فانطلقت في قراءة الكتب، وبعد زمن طويل في القراءة زادت قناعتي بهذا الرأي، وسيكون عند طالب العلم مع الزمن تمييز للكتاب الذي يحتاج إعادة، أو تكفي القراءة الأولى، وبعض الكتب في التخصص أو العلمية تعاد كلما تم الانتهاء منها، ففي المرة الأولى يعَلق في الذهن عُشر الكتاب، والإعادة الثانية تزيد، وهكذا فكلما تمت إعادته زاد الإلمام به، حتى يصل طالب العلم إلى استظهاره من كثرة القراءة.

وقد استفدت فائدة من أحد المشايخ أن من أراد أن يتقن فنًا، فليعد الكتاب نفسه الذي يقرأ فيه؛ لأنه في المرة الأولى سيعلق في ذهنه عُشر الكتاب، ثم تزيد كل مرة، حتى يستظهره، وهذا يقع مع الطلاب في الامتحانات، ففي بداية قراءة الكتاب قد يجد صعوبة، ثم مع التكرار يستظهره، حتى إنه إذا سئُل في الامتحان عن مسألة يتذكر موقعها من الكتاب، والصفحة التي جاءت فيها. وإنَّ طالب العلم إذا تنقل من كتاب إلى آخر في الفن ولم يلزم كتابًا، يبقى في ذهنه عُشر هذا الكتاب، وعُشر ذاك، وعندما يُسأل أو يريد أن يستذكر معلومة لا يجد في ذهنه كتابًا يتمسك به، وينطلق منه.

إدارة الوقت

كانت عنايتي في ذاك الزمن (تقريبًا ١٤٢٦-١٤٢٧هـ) بقراءة كتب تطوير الذات[١]، وغالب هذه الكتب -إن لم يكن كلها- مترجمة من الكتب الغربية، وكان الهاجس عندي وعند من يقرأ هذه الكتب، إدارة الوقت، وقد أُلفتْ فيه كتب، وأقيمت دورات، وقد قرأت عددًا منها، ولكن ما زال الإشكال قائمًا! كيف أدير وقتي بخاصة أني من بيئة اجتماعية جدًا، ولا أستطيع السيطرة على الوقت، فهذا يزورك دون ميعاد، وذلك يقف معك بعد الصلاة يتحدث، وذاك عنده مناسبة فرح، وغيرها، ومن الصعب أن يكون طالب العلم منطويًا على نفسه، معتزلًا الناس، فهو سيَحرم مجتمعه نفعه وفائدة العلم الذي يحمله،

(١) في هذه الكتب فائدة في أمور متعلقة بإدارة الحياة والنفس وتطويرها، ولكن الإغراق فيها غير جيد لطالب العلم الشرعي، ويكفي طالب العلم أن يقرأ أميز الكتب فيها -بعد استخارة واستشارة- فهي كافية؛ فالتكرار فيها كثير، والغث فيها كثير، وكتبت في بيئة غير بيئتنا، وتركيزها على الماديات فقط، فالنجاح عندهم مفصول عن الفلاح، وكثير من الأمور يدركها الإنسان بفطرته، أو بيئته وتربيته، لكن فيها دراسات جادة ومفيدة، وقد استفدت منها كثيرًا في بداية قراءتي للكتب، وقد تركت قراءتها من زمن طويل -إلّا الشيء بعد الشيء-، وأغناني الله عنها بالكتب الشرعية.

وسيُحرم هو الأجر، وفهم العلم، فكثير من العلم لا يُفهم حق الفهم إلّا بمخالطة الخلق، ومن المعلوم أنّ النبي يبعث إلى قومه، ورسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أرسله الله رحمة للعالمين بدأ بعشيرته وقومه، والعلماء ورثة الأنبياء.

فالمهم أني كنت في أزمة مع نفسي من تفلُّت الوقت، وكان ينتابني شعور بالحزن إن لم أنجز الجدول اليومي الذي أردت إنجازه، وفي ذات صباح كنت في الجامعة وقت الاستراحة بين المحاضرات (الفسحة)، وكانت الكلّية تقيم أنشطة في المسرح، وكان بابه يفتح على الدَرَج الذي ينزل معه الطلاب للخروج من القاعات إلى الساحة، فرأيت إعلانًا لمحاضرة في تطوير الذات، فقلت في نفسي لِمَ لا أحضر؟ وكان حضوري بسبب الفراغ، وليس اهتمامًا للعنوان، فوجدت الحضور قليلًا جدًا، إلى درجة أني جلست في الكرسي الذي أمام الملقي مباشرة، فكان من كلامه (**نحن في مجتمع اجتماعي، وعلاقاتنا الاجتماعية قوية، ومن الخطأ أن تدير وقتك حسب ثقافة الكتب المؤلفة في مجتمع غير اجتماعي؛ لذا اجعل عندك مساحة في ترتيب جدولك**) هذا الكلام أو قريب منه.

وهـذا كان فرجًـا لي، وحفظتهـا له، وإن كنـت لا أعرفه ولا يعرفني، فأصبحت أكتب الجدول، فإن تم كله أو أكثره فالحمدلله، وإن أتى ما يشـغلني عن بعضه أو كله فالحمدلله، فكلها عبادة إذا صدقَـتْ النيـة وأخلصتُ لله، وقـد يكون حديثي مـع صديق، أو اسـتقبالي لزائر، أو حضوري لمناسبة أعظم أجرًا وأكثر نفعًا لي، بـل إنـه مرّ بي: أني انتهي مـن قراءة كتاب في تطويـر الذات، أو في السـلوك، ثم أجلس مع رجل كبير في السـن، فيعطيني ملخص ما قرأته في جملة، دون أن يكون قارئًا أو مطلعًا.

وفي الحديـث ذاته عـن إدارة الوقت، واعدت الشـيخ محمد بن إبراهيـم الحمد -حفظـه الله- أن أزوره أحد الأيام بعد صلاة العصر مباشرة، وكانت المسافة بيني وبينه مئة كيلًا، فرتبت وقت السير إليه كي أصل في الوقت المحدد، ولكني تأخرت، فلم أصل إلّا بعد الصلاة بربع ساعة أو ثلث ساعة وكنت محرجًا من الشيخ لكثرة أعماله، والتزاماته، فبدأت بالاعتذار، فقال: (**لا تعتذر، فأنا أعرف أنّ الإنسـان يمر بظروف، وقد يتأخر، وقد يعتذر، وأنا بشر يمـر بي ما يمر بالناس، وأنا ضـد الحدية في الوقت، حتى إني أنقد**

طالب العلم الذي يجلس مع والديه، وهو ينظر إلى الساعة من وقت لآخر؛ لأنه حدد وقتًا للجلوس مع والديه، ثم يقوم بعد انتهائه، وهما سعيدان بجلوسه وبقائه) هذا كلامه أو قريب منه.

وكلامه هذا من الفوائد التي خففت عندي الحدية في انتظار الزائر، أو الضيف[1]، فصرت أفتح الباب، ولا أظل منتظرًا قلقًا، بل أقرأ أو أكمل عملي الذي أقوم به حتى يحضر الضيف أو الزائر، فلا أجد في نفسي ضيقًا منه، ولا يقرأ في قسمات وجهي غضب الانتظار.

---

(١) يفرّق بعض المشايخ بين الضيف والزائر، بأن الضيف من قصدك من خارج البلد، والزائر من قصدك من بلدك، ولكن ورد في السنة إطلاق الزائر والمراد به الضيف كقوله ﷺ (ولزورك عليك حقًا)، وورد إطلاق الضيف على من أتاك من البلد، كقول الصحابي للرسول ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما (من أكرم مني أضيافًا)، وأبو بكر رضي الله عنه أكرم بعض الصحابة رضي الله عنهم من أهل الصفة وهم من أهل المدينة، فقال لابنه عبد الرحمن رضي الله عنه: «دونك أضيافك، فإني منطلق إلى النبي ﷺ، فافرغ من قراهم قبل أن أجيء»، ولما رجع قالت له امرأته رضي الله عنها: «ما حبسك عن أضيافك أو ضيفك؟». ولا شك أنه قد يُفرّق بين من يزورك من البلد عن الذي يزورك من خارج البلد في بعض الواجبات، فلمن أتى من خارج البلد حق أكبر من الذي يكون من البلد، ولكن يطلق عليهما زائر، أو ضيف ولا فرق.

لا تدقق ولا تقارن

لما تزوجت كنت -من شدة الحرص- أدقق على أشياء من أمور البيت العادية، فأعاتب الزوجة -وقد تكون نستها، أو تكون أجلتها- لم هذا كذا؟ لمَ لمْ تصنعي كذا؟ وكانت تقوم بواجباتها أتم قيام، ولكن يقع تأخر أو نسيان، فكنت أعتب وأخاصم، فأريد البيت دائمًا على أكمل وجه، وهذا سبب لي ضيقًا مستمرًا، وحينها اتصلت بصديق سبقني في الزواج، ورزقه الله حكمة وعقلًا، فقال: (**نصيحة: لا تدقق**) فهذه النصيحة نفعني الله بها كثيرًا، فصرت أتغافل كثيرًا، فوجدت الراحة، وأرحت أهلي معي، ثم بعد زمن رأيت ذلك في سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أهله، فقد كان يتغافل كثيرًا، كما في قوله تعالى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [سورة التحريم: آية ٣]، وفي حادثة الإفك لما سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريرة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (**فَقَالَ: يا بَرِيرَةُ، هلْ رَأَيْتِ فِيهَا شيئًا يَرِيبُكِ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لا والَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، إنْ رَأَيْتُ منها أمْرًا أغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أكْثَرَ من أنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ**).

فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تنام عن العجين حتى تأتي (الدَّاجِنُ) -وهي كُلُّ ما يَأْلَفُ البُيوتَ شاةً أو غَيرَها- فتأكلها، ولم يأت في أي حديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعاتب على ذلك، ويلوم عائشة على تركها للعجين حتى تأكله الداجن، مع حاجتهم للعجين.

وكذلك ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الذي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يا رَسولَ اللهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قالَ: أَوَ فَعَلْتِ؟ قالَتْ: نَعَمْ، قالَ: أَمَا إِنَّكِ لو أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ).

فلم يغضب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لم تستأذنه، ولو كان من هديه اللوم والعتب لما أعتقتها إلّا بإذنه، فقد كان سمحًا رفيقًا منشرح الصدر مع أهله والناس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم مع الزمن والحياة وجدت وصية ثانية إضافة إلى الوصية الأولى تخص الحياة الزوجية، وهي (**لا تقارن**)، فالمقارنة تجعل الإنسان لا يقنع بما رزقه الله من زوج أو ولد أو مال، فيظل مهمومًا، غير شاكر لنعم الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ

مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ [سورة طه: آية ١٣١]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نُهِيَ الرجل أن يتمنى مال صاحبه».

فالإنسان إذا نظر إلى غيره سيجد مالًا أكثر من ماله، وزوجًا أحسن من زوجه، وولدًا أحسن من ولده، وبيتًا أحسن من بيته، وإذا نظر إلى الجهة الأخرى سيجد أن بيته أفضل من بيوت آخرين، وزوجه أفضل من أزواج آخرين، وهكذا في ولده وماله، فإذا ظل في هذه المقارنات سيتعب، ويظل نكدًا كنودًا، فليحمد الله على ما رزقه، ولينقل العدسة من الناس إلى نفسه، ويتفكر في نعم الله فيها، ويشكره عليها.

ففي هاتين الوصيتين (**لا تدقق**) و(**لا تقارن**) يعيش الزوجان بهدوء واطمئنان وسلامة صدر، ورضا، وشكر.

❋❋❋

إذا خرجت من المجلس لا تفكّر فيه

خرجت مرة من أحد المجالس وركبت مع صديق لي، فقلت له: لو أني لم أقل كذا في المجلس!، فقال: (**يا مرضي، إذا خرجت من المجلس لا تفكّر فيه**)، فهذه الوصية أراحتني من تفكير كثير بما قلت وما فعلت وليتني قلت أو لم أقل، فما دام أنها أصبحت من الماضي فلا ألتفت لها، إلَّا إن كنت أخطأت فأستغفر الله، وإن كان الخطأ في حق شخص فأعتذر منه، أما غيرها فلو فتحت الباب للَّوم والتفكير لما ارتحت في مجلس، وأضحت المجالس عقدة نفسية لي، فأرحت نفسي من هذا، وكلما خرجت من مجلس وأحضرت نفسي المجلس أمامي كي أنظر فيه من جديد، تذكرت وصية صاحبي فأعرضت، وأكملت مسيري.

❋❋❋

كلّم اللّي فوق

تأخرت الوظيفة علي، فدخلت على والدي، فقلت له: كلّم لي فلانًا لعله يشفع لي، فقال: (**كلّم اللي فوق**)، وأشار بيده إلى السماء، -وهو رجل أمي لم يدرس أو يطلب العلم-، فهذه الكلمة كانت هزة نفسية لي، فكيف وأنا طالب الشريعة ألتفت يمينًا وشمالًا، وأطلب من الناس السعي في رزقي، وأغفل عن الرازق (**اللي فوق**) والناس هؤلاء لن يقدموا لي شيئًا ما لم يأت الأمر من (**اللي فوق**) فلمَ لا أرفع له أكفي وأبتهل له أن يرزقني؟!

وقد صارت هذه وصيتي لأولادي في كل شؤونهم أن يبدؤوا بطلب (**اللي فوق**)، فقد دخل علي ابني مرة يوم الأربعاء، فقال: تأخرت علي نتيجة تقديمي على الوظيفة الفلانية، ومدير الدائرة صديقك، فكلّمه، فقلت له: استيقظ قبل صلاة الفجر، واطلب الله. ويوم الخميس الظهر، قال لي: وقَّعت عقدي معهم اليوم، فقد اتصلوا بي صباحًا لتوقيع العقد.

وبما أنه جاء ذكر الوالد، فأذكر أني سافرت للتقديم على وظيفة معيد في إحدى الجامعات، ثم بعد يومين اتصل بي وقال: أينك؟ فقلت: سافرت إلى مدينة كذا، فقال: لمَ؟ قلت: أُقدم على الجامعة التي فيها. فقال: (**كأنك خايف على رزقك!!**).

❋❋❋

الله يدل مكانك إذا أراد أن يبارك فيك!

توظفت في جامعة الجوف، ومدينتي الأصلية رفحاء، وكنت أؤمل وأفكر في النقل إلى مدينة من المدن الكبيرة، وكان الوالدان يريدان أن أعود إليهما، وأستقر عندهما، وكانت عندي أهداف، وطموح، أظن أنها لن تتحقق في مدينتي، فاتصلت بالشيخ محمد بن إبراهيم الحمد -حفظه الله- أستشيره، فقال: لا تفارق والديك، اطلب نقلًا إليهما، فقلت: يا شيخ، عندي أهداف!، فقال: (**الله يدل مكانك إذا أراد أن يبارك فيك!**)، عند هذه الكلمة توقفت، ولم أكمل الحديث، فأخذت برأيه بعد استخارة الله، ثم يسر الله لي النقل إلى والديّ، ووالله إني وجدت فائدة هذه النصيحة، وحقيقة كلامه، فتحقق لي أكثر مما كنت أفكر به، مع أمور أخرى لم تكن في خاطري عندما كنت أخطط وأدبر، وأستزيد الله من واسع فضله وكرمه وجوده.

❋❋❋

هناك أبواب كثيرة إلى الله

مرضت قبل سنوات مرضًا قطعني عن القراءة والكتابة، فكنت أجد في نفسي حسرة زيادة على المرض، وتغيَّر برنامجي من قراءة وكتابة إلى فراغ، ويعلم كل من اعتاد القراءة كيف يؤثر الفراغ على نفسه، وبعدما منّ الله علي وعادت لي صحتي زرت الشيخ عبدالله بن حمد السكاكر -حفظه الله-، وكان يعلم عن حالي، فقال: كيف صحتك الآن، فقلت الحمدلله، لكن كان يؤلمني الوقت الذي ذهب دون قراءة أو كتابة!

فقال - وكنا نجلس في مكتبته-: **(يا أبا أنس، لو كانت القراءة والكتابة لله، فهناك أبواب كثيرة إلى الله غير القراءة والكتابة، وإن كانت لغير الله، فلو كانت لك مؤلفات كهذه المكتبة فلن تنفعك شيئًا)**.

فكانت هذه الكلمة كالبلسم، وفيها مراجعة للأهداف، وتصحيح للنية، فطالب العلم يقرأ ويكتب ليرضي الله، وقد ينسى هدفه الأساس، فتشغله القراءة والكتابة عن هدفه، بل قد تكون

سببًا في بعده عن الله عندما يتخذها وسيلة للتكثر والارتفاع على أقرانه، والبحث عن الجاه والمكانة، وهناك أبواب كثيرة إلى الله، فإذا صدق معه دله عليه.

❋❋❋

وفي السماء رزقكم وما توعدون

توظفت بعد المرحلة الثانوية في محكمة رفحاء، ثم تزوجت، ورزقت بابني أنس، ثم استقلت في عام ١٤٢٤هـ، وذهبت إلى الجامعة وكان لي من بعد المرحلة الثانوية أربع سنوات ونصف، وما من شك أن الهاجس الذي يدور في ذهن أب هو الرزق، وفي أول يوم دخل علينا الشيخ عبدالعزيز العويد-حفظه الله-، تحدَّث عن قوله تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [سورة الذاريات: الآيات ٢٢-٢٣]، ووالله إن حديثه شرح صدري، وأزال همًا كان يتردد على زيارة قلبي، ثم صارت أولى المحاضرات التي ألقيها على الطلاب في الجامعة كل فصل عن الرزق، وأذكر لهم بعض القصص عن الرزق وكرم الله وفضله، ووجدت ثمرة ذلك، وذكر لي أكثر من طالب أثر هذه الكلمة عليهم، فمن المؤكد أن جميع الطلاب الذين يلتحقون بالجامعة يفكرون في الرزق، ومرة أتاني طالب بعدما تحدثت عن الرزق وكرم الله، فقال: أريد أن أترك الجامعة، وجلست معه قليلًا

وحدثته، فصبر ثم رزقه الله معدَّلًا أهَّله لدخول كلية الطب، وقد تخرج طبيبًا، وفقه الله.

وعلى ذكر الشيخ العويد -حفظه الله-، فقد درسني في أول فصل في الماجستير، وكان لي في ذلك الوقت ثلاثة أولاد، ولست موظفًا، وكان الشيخ يشرح الدرس، وكان ذهني خارج القاعة أفكر في سبب التحاقي بالماجستير، وزملائي قد توظفوا، فصرت ألوم نفسي: لمَ درست؟ ولو توظفت ألم يكن ذلك قرارًا صائبًا؟! وكانت الأفكار تأتي وتروح، فرفعت يدي وظن الشيخ أني سأسأل عن الدرس، فقلت له: ما رأيك في إكمال الدراسات العليا؟ فوالله لقد ترك الدرس وتحدث حديثًا عن أهمية الاستمرار في التعلم ثبتني وشرح صدري، فلا يبخل المعلم والشيخ والدكتور عن الحديث عن هموم طلابه، فقد يكون سببًا في صناعة طالب علم، وتثبيته عليه.

❋❋❋

أستحضر أن خلفك طلابًا وأناسًا تعلمهم

اتصلت مرة بالشيخ عبدالله بن حمد السكاكر -حفظه الله- أسأله عن مسألة فقهية، فأطلت معه في المكالمة، فقد استغرق وقتها قرابة الأربعين دقيقة، وفي نهاية المكالمة اعتذرت منه لطولها، فقال: (**لا تعتذر؛ فأنا عندما أكلمك أستحضر أن خلفك طلابًا وأناسًا تعلمهم، فكأني كلمتهم كلهم، فلا أتضايق على الوقت الذي أقضيه لذلك**) هذا كلامه أو قريب منه.

وهذه الكلمة حكيمة وعميقة، ففيها تقويم للناس ثم تقدير الوقت الذي تقضيه معهم في تعليمهم أو الحديث معهم، فإذا كان الشخص طالب علم ومعلمًا للناس، أو تتفرس فيه نفع الناس، فهذا تطيل معه الشرح والتوضيح، وتفتح له أبوابًا من الأفكار والمشاريع العلمية والدعوية، وتجعله مشروعًا من مشاريعك، ونهرًا يصب في بحر حسناتك، وإن كان الشخص غير طالب علم أو ليس له جهد في التعليم، فهذا تبين له الحكم الشرعي دون إطالة أو تفصيل، فإنه ليس بحاجة له، بل قد يكون بعض العلم ضارًا له، كمن يعطي الطفل الذي لم يأكل الطعام وجبة دسمة

تضره، فلا تبذل وقتًا طويلًا معه، بل تقوم بالواجب فقط.

وهذه ليست خاصة بالعلم الشرعي، بل هي في الكلام كله، فلا بد من تقويم الناس في ذهنك، وتقدير حجم العلاقة التي بينكم، فبعض الناس تكون متحفظًا معه، وتحسب كلماتك، وبعضهم تسترسل معه وتأخذ راحتك في الكلام، فهو يُقدّر الكلام ويعرف ما الذي يُنقل منه والذي لا يُنقل، ويضع حدودًا للعلاقة، فلا يجرّه توسعك في الحديث إلى عدم تقديرك، أو استهجانك، وعنده تقويم للمجالس فلا يحرجك في مجالس عامة أو عند أناس لا تريد أن تتوسع العلاقة بينكم.

❋❋❋

التدرج في طلب العلم

كان السؤال الذي يدور في ذهني بداية طلب العلم، كيف التدرج في طلب العلم، وهذا السؤال يدور في ذهن غالب طلبة العلم - إن لم يكن كلهم- في بداياتهم العلمية، وفي صباح أحد الأيام حضرت لقاءً مع الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدينة بريدة مع ثلة من المشايخ الفضلاء وطلبة العلم، فسأل أحدهم الشيخَ سؤالًا عن التدرج في كتب الفقه بما يبدأ الطالب وبما ينتهي، فقال له الشيخ: (**كتبُ الفقه مكررةٌ إلزم كتابًا واضبطه واقرأ شروحه**)، ثم قال السائل: وهل يكفي أن أضبط متن أبي شجاع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفقه الشافعي؟، فقال الشيخ: (**نعم، أي كتاب في الفقه، ولا يلزم أن يكون في مذهب الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

وهذا الجواب فيه تسهيل على طالب العلم في اتخاذ الطريق الصحيحة في طلب العلم، فبعض طلبة العلم يظل يتنقل من كتاب إلى كتاب، ومن شيخ إلى شيخ، وبعد سنوات لا يخرج إلّا بمعلومات دون علم، فليس كل من يحمل معلومات يحمل علمًا، ولو لزم كتابًا فقرأه على شيخ، أو حضر له شرحًا لأحد

المشـايخ، ثم عكف عليه وعاش معه حتـى يتقنه، وبعدها ينطلق إلـى قراءة الكتـب الأعلى منـه والأصعب في الفـن، ولا يبقى في مرحلته الأولى، فإن بعض طلبة العلم لا يعرف مرحلته في العلم، فتجده يظل في المرحلة الأولى ولا ينتقل إلى المرحلة التي بعدها، وقد يعود كل مرة إلى المرحلة نفسها، كالذي يدرس في المرحلة الابتدائيـة ثـم يعيدهـا كل مرة، ويظن أنـه يتطور وهـو في مكانه، فالثبـات في المرحلـة قد يجعل طالـب العلم يتقنهـا، ويحفظها، ولكنـه لا يتطور في العلم، ولا يدرك ملكة الفن الذي يتعلمه، ولا يسـتطيع أن يجيب على نوازله ومسـتجداته، أو يحميه في الجدل والمناقشات، وقد سمعت أحد الدكاترة يقول: «لن تتقن فنًا حتى تقرأ أصعب ما فيه».

وفي جواب الشـيخ لفتة جميلة، وهي أن الفقه أمره قريب كما قـال ابن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الفروع أمرهـا قريب، فإذا قلد المسـلم فيهـا أحد العلمـاء المقلدين، جاز لـه العمل بقوله، مـا لم يتيقن خطأه) فيتفقه طالب العلم على المذهب السـائد في بلده، فالشيخ الجبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حنبلي المذهب، ولم يطلب من السـائل أن يتفقه

علـى مذهب الحنابلة، ولم يقم بمقارنة مذهب الحنابلة بغيره من المذاهب، أو تفضيله عليها؛ فالمذاهب الفقهية كلها خير، وكلها تستقي من نبع واحد، وموصلة للمراد،

وَكُـلُّـهُـم مِـنْ رَسُـــوْلِ اللهِ مُلتَمِسٌ

غَرْفًـا مِـنَ البَحْـرِ أَوْ رَشـفًا مِـنَ الدِّيَـمِ

وبعض طلبة العلم إذا تفقه على مذهبٍ غير مذهب بلده فإنه يعود فلا يجد من يدارسه، وقد يسبب خلافات وفتنًا وفوضى بين طلبة العلم في بلده، ومِنْ حكمة القاضي أَبي يعلى الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ذكره عنه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسوّدة، فقال: «حَكَى لي الشيخ محمد بن يحيى عن القاضي أبي يعلى أنه قصده فقيه ليقرأ عليه مذهب أَحمد، فسأله عن بلده، فأخبره، فقال له: **إِن أَهل بلدك كلهم يقرؤون مذهب الشافعي، فلماذا عدلت أَنت عنه إلى مذهبنا؟ فقال له: إِنما عدلت عن المذهب رغبة فيك أَنت، فقال له: إِن هذا لا يصلح، فإِنك إذا كنت في بلدك على مذهب أَحمد، وباقي أهل البلد على مذهب الشافعي، لم تجد أَحدًا يُعيد معك، ولا يدارسك، وكُنت خليقًا أَن تثير خصومة، وتوقع نزاعًا،**

بـل كونـك على مذهب الشـافعي، حيث أهل بلـدك على مذهبه أَوْلَى، وَدَلَّهُ على الشـيخ أَبي إِسحاق، وذهب به إِليه، فقال: سمعًا وطاعة، أَقدمه على الفقهـاء، والتفت إِليه. وكان هذا من علمهما مَعًـا، وكـون كل واحـد منهما يُريد الآخـرة». تأمّـل: **(كل واحد منهما يريد الآخرة)**.

وعلـى طالب العلـم إذا درس في بلد على غير مذهب بلده أن يُوسّـع أفقه، ولا يسـبب خلافات عندما يعود إلى بلده، بل يكون سببًا للألفة بين طلبة العلم وجمع كلمتهم، والأولى له أن يضيف علـى تفقهـه فقه البلـد الذي يعود إليـه، فيكون مـدركًا للمذهب السـائد في البلد؛ ففي هذا توسـيع لمداركـه، وتمكنه من الفتوى، ففقـه الواقع جزء مهـم للفتـوى، وأيضًا عندما يريـد أن يخوض مناقشـة مع غيره في مسألة أو قضية يعملها الناس هناك فإنه يكون ملمًا بأدلة المذهب السائد وأصوله وقواعده.

❋❋❋

لا تستغرق في مشاعرك وتنسَ ما حولك!

سمعت أحد الدكاترة المهتمين بتطوير الذات يقول: (لا تستغرق في مشاعرك وتنسَ ما حولك)، وذكر أمثلة لذلك، منها: (أن بعض الناس يأتي إلى المسجد لصلاة الجمعة، أو صلاة التراويح، أو صلاة الجنازة، فيريد إدراك الصلاة فيستغرق في مشاعره، فيوقف سيارته في أي مكان، فيغلق الطريق، أو يقف بمكان ممنوع، أو يغلق على بعض البيوت أبوابها) كلامه كان يدور حول هذه الفكرة.

وهذا الكلام نفعني الله به كثيرًا، فكثيرًا ما أجد في نفسي حماسة وضغطًا نفسيًا وأجد أني أسابق الزمن للوصول إلى دعوة، أو محاضرة، أو مسجد، وأريد أن أوقف سيارتي في أقرب مكان، ثم أجده مزدحمًا بالسيارات، فأريد أن أقف في مكان قريب وإن كان يغلق على بعض الناس طريقهم، أو موقفًا خطرًا على سيارتي، وأجد في نفسي تعليلًا؛ أني لن أتأخر، وقبل أن أقف أتذكر كلام هذا الدكتور، فأتقدم إلى أن أجد مكانًا مناسبًا نظاميًا فأقف فيه.

وهذا ليس خاصا في قيادة السيارة، بل في أمور كثيرة، فأحيانًا يكون الإنسان في مكان فرح وضحك فيستغرق في هذا المشاعر فيقول كلامًا يندم عليه، أو يقوم بتصرف يندم عليه، كرجل عاقل كبير يكون في حفل زواج فيضرب الناس الدفوف فيستغرق وينسى نفسه ومن هو، فيقوم يتراقص بينهم، فإذا وقف الضرب بالدف، وعاد عقله إلى مكانه ندم أشد الندم على تصرفه.

أو يسافر شخص مع أصدقائه ويكون بينهم من الأنس والمودة ما يجعله ينسى نفسه فيقول حديثًا عن نفسه أو يفتح من ملفاته المغلقة التي سترها الله، فيحفظها بعض من معه ويستخدمونها ضده، أو يسقط من عيونهم، فيندم بعدما يعود وتذهب المشاعر؛ لذا على المرء أن ينفصل قدر المستطاع عن مشاعره الآنية، فحينها يستطيع تقويم الأقوال والأفعال، والصمت عند اضطراب المشاعر لا يعدله شيء.

❋❋❋

اكتب عمَّا تريد، ولا تكتب عمّا لا تريد

قرأت في كتاب لأحد المفكرين كلامًا جميلًا وهو (اكتب عمَّا تريد، ولا تكتب عمّا لا تريد) ليست بهذه اللفظة، ولكن الفكرة حول ذلك.

وهذا الكلام نفعني الله به كثيرًا، فمثلًا إذا أردت الحديث عن ترك الصلاة، فأنا لا أريد ترك الصلاة، بل أريد الصلاة؛ فإذًا يكون الحديث عن أهمية الصلاة وفضلها، وقصة عن بر الوالدين خير من ألف قصة عن العقوق، وكثيرًا بعدما أكتب الكتابة، -بخاصة الكتابات القصيرة- أسأل نفسي: هل هذا ما أريد؟ أما أنا أكتب ما لا أريد؟!

وهذا السؤال جعلني أُعدّل كتابات كثيرة، وأحذف كثيرًا منها، والناس ينفعهم الحديث في البناء أكثر من الحديث في النقد أو الهدم، بل الحديث عن المساوئ والأخطاء يُضيّق الصدر، ويقسي القلب، ويعطي صورة مظلمة عن المجتمع، وعن الناس، ومن قال: هلك الناس فهو أهلكهم.

فتستطيع أن تكتب عن طالب العلم الذي لا يؤدي كذا، وفيه كذا، والأفضل أن تكتب عن أهمية كذا لطالب العلم، وما أجمل أن يتصف طالب العلم بكذا، وتستطيع أن تتكلم عن السفور والسافرات، والأفضل أن تتحدث عن أهمية الحجاب، وفضل المحجبات ودورهن الكبير في المجتمع، وتستطيع أن تتكلم عن الشباب العصاة، والأفضل أن تتحدث عن أضعافهم من حفظة كتاب الله، وتستطيع أن تقول لطفلك: لا تسقط! والأفضل أن تقول له: تمسك.

ولا أقصد -هنا- أن يُترك إنكار المنكر، بل أقصد أن تتم معالجته وتغييره بتكثير الخير، والثناء على أهله، فالخير ينمو ويزداد إذا رُكز عليه، وقد يحتاج المرء في مواقف كثيرة أن يتحدث عمّا لا يريد فيذكر المساوئ والمنكرات صراحة، ولكن لا يكون كل حديثه عنها، ولا يكون تركيزه عليها، وليلبس لكل حادثة لبوسها.

❋❋❋

المقارنة علامة على ضعف تقدير الذات

في بداية القراءة قرأت في كتاب كان يتحدث عن الثقة بالنفس، وذكر كلامًا عن المنافسات، وذكر أن المنافسة الحقيقية تكون مع النفس لا مع الآخرين، وسأنقل كلامه بنصه: (المقارنة علامة على ضعف تقدير الذات، إن الشخص الذي يقارن نفسه بالآخرين يعيش في حالة من الخوف.

- الشخص المنافس يشعر بأن الآخرين أفضل منه ويحاول إثبات العكس، والشخص المنافس دائما ما يحتاج إلى شخص يؤكد أنه يؤدي بشكل جيد.
- المنافسة الوحيدة هي منافسة مع نفسه لتحقيق تطور وتميز وتفوق شخصي أعظم فيما يرغب في إنجازه)

ظل هذا الكلام في ذهني، وإن كنت لم أحفظه، ولكن رسخ في ذهني أن المنافسة الحقيقية تكون مع النفس، وهي المنافسة الفاعلة المنتجة، وأن المنافسة مع الآخرين تُحطّم النفس ولا تطوّرها، وكنت في ذاك الوقت في بدايات طلب العلم وحفظ المتون، فأتيت إلى الشيخ لأسمّع عنده المتن الذي أحفظ فيه،

وكان من المتون الصغيرة التي يبتدئ بها صغار الطلبة، ووجدت طالبًا أصغر مني بسنوات يسمّع عند الشيخ في الصحيحين (صحيح البخاري ومسلم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ) وقد تجاوز جميع هذه المتون الصغيرة، فجاءني شعور بالندم على سنوات عمري التي ضيعتها دون طلب علم، وهؤلاء الشباب أصغر مني قد حفظوا، ولم أحفظ، وخَرجتُ من عند الشيخ بعد التسميع، وأنا مهموم حزين، ولـمَّا وقفت عند إحدى الإشارات المرورية، ظهر كلام المؤلف السابق على شاشة عقلي، فانتبهت، وأخذت على نفسي من ذاك الوقت أن أقارن نفسي بنفسي فقط؛ أين كانت؟، وأين وصلت؟، وماذا حققت؟، وأن أحرص على تطويرها دون النظر إلى غيري، فمن سبق فأدعو الله له بالتوفيق والسداد والنفع والبركة، ولا أُلزم نفسي بخطة غيري ولا بمنهجه ولا طريقته، والحمدلله وجدت راحة عجيبة، وقد أبعدت نفسي عن كل المنافسات حتى الدنيوية، فمنافستي لنفسي، وأصنع ما أرتاح له، فمن كان يحب تجارة فأدعو له ولا أنافسه، ومن يريد منصبًا فالله يوفقه ولا أنافسه، ومن ألَّف مؤلفًا فأرسل له الدعوات وسؤال الله له البركة دون أن أنافسه، ووجدت الراحة..

وهـذه مفيدة جدًا مع الأسـر القريبة من بعضهـا، والأصدقاء القريبين من بعضهم، فالمرء يضع له خطة لنفسـه ولبيته ثم يسـير عليها، ولا يتشـتت، فكلما رأى مشروعًا نجح به قريب أو صديق طار إليه، بل يدعو لهم، ويظل يطوّر نفسه فيما بارك الله له فيه.

وقـد جاء ذكر المنافسـة في القرآن الكريـم في قوله تعالى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سـورة المطففيـن: آيـة ٢٦] عندمـا ذكـر نعيم الجنـة، وقـال الطـبري: «وفي هذا النعيـم الذي وصف جـل ثناؤه أنـه أعطى هؤلاء الأبرار في القيامـة... وكان معناه في ذلك: **فليجدّ الناس فيه، وإليه فليستبقوا في طلبه، ولتحرص عليه نفوسهم**». فهي بمعنى المسابقة والمسارعة إلى الجنة، فيسابق المسلم وعينه على خط النهاية، عينه على رضا الله والجنة والفردوس، ويسـابق ليفوز بأعلى الدرجات، ويطوَّر نفسـه ويعالجها من أدوائها لتصل بأسرع وقت إلى المراتب العالية، سواء وصل معه أحد أم لا، نافسه أحد أم لا، وألَّا يكثر النظر إلى الآخرين فإن ذلك يقطعه أو يؤخر وصوله، ويملأ قلبه حسرة، وليكن نظره إلى السابقين إلى الله محفزًا ومعينًا، لا محبطًا ومعيقًا. هذا هو المفهوم الإيجابي للمنافسة.

المجالس الخاصة

قرأت في كتاب لأحد المشايخ أنه فتح درسًا خاصًا، وانتخب مجموعة من طلبة العلم، ولعلَّه أخذ راحته معهم ووثق بهم، فبدأ يصرّح ببعض آرائه الفقهية التي لا يستطيع أن يقولها، أو يكتبها؛ لأنها تعد أقوالًا مخالفة للأقوال الفقهية السائدة، أو قد تكون أقوالًا حُكم عليها عبر الزمن العلمي بالشذوذ الفقهي، وبعض هؤلاء الطلبة لم يكن على قدر ثقة شيخه به، فبدأ يُصرّح بآراء شيخه، وسبب له ضيقًا وحرجًا، فقد سببت أقواله غضب كثير من طلبة العلم عليه، فكتب كلامًا محزنًا ومؤسفًا يدافع فيه عن نفسه، وكان من قوله: (المجالس الخاصة: قد يُذكر فيها ما لا يُذكر أمام العامة والملأ؛ لئلا يسيئوا فهمه ويخطئوا في أخذه، وكان مجلسي ذاك مجلسًا حديثيًا انتخبت له حضورَه انتخابًا، **حتى بان لي بعد ذلك أنَّ طلاب العلم في هذا الزمان أصبحوا كالإبل المئة لا تكادُ تجد فيها راحلةً**) هذا كلامه بنصه.

وهذا الكلام فيه نفع كبير لأي طالب علم يلقي دروسه ألّا يثق ثقة عمياء بكل طلابه، فالطلاب يتغيرون مع الزمن، ويرحلون،

وتتغير آراؤهم، وبعضهم لئيم لا يحفظ من شيخه إلا المساوئ والأخطاء، ويرى أنه لا يتمكن من العلم إلّا إذا نقد آراء شيخه تلميحًا أو تصريحًا، وبعضهم يريد أن يلفت أنظار من حوله بأنه ذو علاقة خاصة بالشيخ فيتحدث عن أسراره، وكم تأذى المشايخ والعلماء من بعض الطلبة الذين وثقوا فيهم يومًا ما؛ لذا على الشيخ وطالب العلم أن يكون علمه واضحًا مكتوبًا للجميع أو مشروحًا للجميع، وبإمكان أي شخص أن يطَّلع عليه، وإذا فتح درسًا خاصًا، ألا يأخذ راحته في تبيين كل الإشكالات العلمية التي ترد على ذهنه، أو يذكر الأقوال التي لم تتحرر في ذهنه، أو يكون فيها ضرر على الطالب أو على الشيخ، وليس ملزومًا أن يقول كل العلم الذي في جوفه، فليس كل ما يُعلم يقال، وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صرّح في أحد الأحاديث أنه لم يقل كل الأحاديث، بخاصة أحاديث الفتن، أو التي تسبب له ضررًا.

وما من شك أنّ هناك طلبة علم أصحاب مروءة وحكمة، ويعلمون ما الذي يُنقل وما الذي لا ينقل؛ فإذا وجدهم الشيخ فليعاملهم كأولاده، وليطعمهم العلم إطعامًا، وليدَّخرهم للزمن،

وليجعلهم خزينة أسراره، ومحط استشاراته، ومن المواقف التي ظلت راسخة في ذهني أننا كنّا في ندوة، ونحن على الغداء تحدث دكتور عن أحد مشايخه، ومما ذكره أن شيخه استشاره في مؤلَفٍ توصل فيه الشيخ إلى رأيٍ معينٍ في مسألةٍ ما، فأشار الدكتور على شيخه بعدم نشره، فطلب الشيخ من ابنه أن يُتلف المؤلَف، فقال أحد الحاضرين للدكتور: ما المسألة التي استشارك فيها الشيخ؟، فرده بلطفٍ ولم يبينها له.

وهذا يدل على عقل هذا الدكتور ووفائه؛ وإلّا كان بإمكانه بعد موت شيخه بسنوات أن يصرّح بهذا الرأي، ولكن من الذي يضمن أن أحدًا لن ينقله ثم يتناقله طلبة العلم، ويُنسب للشيخ في البحوث، أو يسبب فتنة لبعض الباحثين، فبعضهم جدار يريد أن ينقض، وينتظر من يخرج بقول ضعيف أو شاذ فيتبناه وينشره.

ويقول الشيخ الهدلق -حفظه الله-: «سألت أستاذًا ممن خالط العلّامة محمود شاكر وخبر سوادَه وبياضَه؛ سألته سؤالًا فهم منه أني أريد أن أستبطن من خاصّة أمر أبي فِهْرٍ ما لا يعرفه كل أحدٍ، فقال لي -فيما يشبه العتاب- كلمةً ما زال صداها يتردد

في أذني: (لقد أقدرني شيخنا محمود شاكر بتقريبه إياي على أن أرى مواطن ضعفه، فمن اللؤم أن أقوى عليه به)».

❊❊❊

لا تقاوم النوم

كنت جالسًا مع جدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عصر أحد الأيام، وكنت أُقاوم النوم، أغفو وأنتبه وهكذا، وكان جدي يراني، فقال: **(لا تقاوم النوم، أُكْسره ولو بعشر دقائق)**.

فأخذت بكلامه من ذاك الزمن، ووجدت أنْ مقاومة النوم ليس فيها فائدة لنفسي، بل أظل طوال الوقت كسلان، ولا أُنجز شيئًا ذا بال، فإذا أتاني النوم في غير وقته، ووجدت سلطانه قويًا فإني لا أقاومه، بل (أكسره) وأنام مدة عشر دقائق أو عشرين دقيقة، ثم أقوم فأجد نشاطًا جديدًا، يعينني الله به على إتمام أعمال اليوم.

وقد لا يصلح هذا لكل الناس، ولكن وجدته مفيدًا لي، وقد يفيد كثيرين.

❋❋❋

من أسباب توقف طالب العلم والداعية

لما كان يوم مناقشة الماجستير لم أخبر أحدًا، وذهبت إلى المناقشة، وفي وقت المناقشة، رأيت الشيخ عبدالعزيز العويد -حفظه الله- دخل القاعة، وجلس مع الحضور، فلما أعلنوا النتيجة، قال لي: أنتظرك في البيت على الغداء، فاعتذرت، فأصر إصرارًا لم أجد بدًا من التسليم له، وقد كان بي حفيًا مدة دراستي كلها وإلى هذه اللحظة لم يقطعني من تواصله ودعائه، ويبشرني كلما صدر له مؤلف جديد، فالمهم أني حضرت وجلست معه جلسة من أجمل الجلسات وأوصاني وصايا طيبة في العلم والتعامل مع الناس، ومما حفظت له وصيتين مهمتين لكل طالب علم: الأولى: قال: (**من أسباب توقف طالب العلم والداعية أنه يفتح على نفسه أبوابًا كثيرة من أعمال الخير في وقت واحد، فتجده يُعلم، ويدعو، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومديرًا لكذا، وعضوًا هنا، ومشاركًا هنا، إلى غيرها من الأعمال الخيرية، وفي الوقت ذاته، هناك ضغط عليه من أهله وزوجه فيلومونه بأنه مقصر معهم، مفرط في حق أولاده ووالديه، فكثرة هذه الأعمال مع لوم**

الأقربيـن وتأنيب الضمير، يصل به إلى التوقف عن كل الأعمال، ولو رتب وقته، وعمل في مجـال أو مجالين، مع قيامه بالواجبات الأخـرى، لبارك الله به، واسـتمر طوال عمـره في العمل والبذل)، هذا كلامـه أو قريب منه، وقد رأيت كلامه في كثير من أهل الخير والصـلاح الذين كانوا يقومون بأعمال كثيرة في وقت واحد، وقد توقفوا عن ذلك من سـنوات، سـمعت أحدهم يقول: (لي سـبعة سنوات لم أُفطر مع أهلي في رمضان، فأنا أقوم على مشروع إفطار الصائـم)، وقد ترك ذلك بعد هذه السـنوات تمامًـا، وتوقف عن المشاركات الدعوية، ولو رتب وقته مع زملائه، فكل واحد منهم يشـرف على هذا المشـروع أيامًا، ويفطر مع أهله أيامًا، لاسـتمر بدلًا من سبع سنوات إلى سبعين سنة.

وأعـرف مشـايخ يعملون في جمعيـات خيريـة أو دعوية ولم يشتتوا أنفسهم، بل جعلوا جهدهم في هذه، ولهم زملاء يتعاونون بينهم، وقد تجاوزت أعمارهم سـتين سـنة وأكثر وهم مستمرون في العطاء والبذل.

شارك الناس فرحهم بك

الوصية الثانية: قال: (**صاحب الهمة العالية قد ينجز عملًا كحصوله على درجة علمية، وهو يرى أن هذا شيء عادي، فهمته أعلى من ذلك، وطموحه بعيد جدًا، وقد لا يكون فرحه بهذا الإنجاز كبيرًا، ولكن الناس الذين يحبونه يفرحون له كثيرًا، ويرسلون له التهاني والدعوات المباركات، فعليه أن يبادل الناس مشاعرهم، ويشعرهم أنه سعيد جدًا بهم وبكلماتهم، ولا تكون ردة فعله عادية؛ لأن الأمر عادي عنده**) هذا كلامه أو قريب منه.

وهذه دقة في فهم النفس، وكلامه عين العقل، وقد سمعت من أكثر من صديق صاحب همة عندما تأتيه ترقية، أو ينجز عملًا أن الأمر عادي، ولا حاجة لإبلاغ الناس به، وتجد أن مشاعره عادية جدًا، وقد ينجرّ هذا على إجابته لتهنئة أحبابه، فلا يجيبهم، أو يجيب جوابًا باردًا جدًا، يكسر فيه قلوبهم؛ فليحمد الله صاحب الهمة وغيره على كل منجز، وليشكر الله أن جعله محبوبًا يفرح الناس له، ويدعون له، ويحبون له ما يحبون لأنفسهم وأكثر، فقد تكون محبة الناس منجزًا أهم وأكبر وأعلى من الشهادات والمراتب التي وصلها.

لا تترك القراءة في كتب السلوك والرقائق

كان لي أخ نتناقش أنا وهو عن الكتب باستمرار، ما الذي صدر منها، وماذا قرأنا، وقبل ست عشرة سنة تقريبًا قال لي وصية وهي: (**لا تترك القراءة في كتب السلوك والرقائق أو اجعل لك وردًا من القراءة فيها**)، فجعلت يوميًا أقرأ عشر صفحات من كتاب في السلوك والرقائق، وإن كان لا يعلق في ذهني منه شيء، ولكن لها أثر على القلب، بخاصة قصص السلف مع الله، وإخلاصهم وصدقهم، ثم بعد مدة قرأت كلامًا جميلًا لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الشأن، يقول: (الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب؛ إلا أن يُمزج بالرقائق، والنظر في سير السلف الصالحين، فأما مجرد العلم بالحلال والحرام، فليس له كبير عملٍ في رقة القلب؛ وإنما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث، وأخبار السلف الصالحين).

وأيضًا فبعض العلوم جافة تقسي القلب يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تأملت العلم والميل إليه، والتشاغل به؛ فإذا هو يقوي

القلب قوةً تميل به إلى نوع قساوةٍ)؛ لذا هو بحاجة لـ(تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعًا لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم).

هذا ما قاله ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر، وقد صدق، فطالب العلـم بحاجة إلى المواعظ والمرققات والقراءة في سـير السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ وإلّا فإن القلب مع العلم وحده يقسو وقد يصدأ دون أن يشعر به صاحبه.

❋❋❋

أنجز العمل ولا تؤجله

لما كنت أكتب رسالة الدكتوراه، اتصل بي الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد -حفظه الله-، وقال لي: (**العمل الذي ينجز في شهر وتستطيع إنجازه في أسبوع مع الإتقان فأنجزه في أسبوع فإنك لا تدري ما يطرأ لك من طوارئ الحياة وأمورها، وانتهاؤك مبكرا يجعلك مرتاحًا في باقي مدة التفرغ العلمي، حتى ولو تأخرت مناقشتك**) أو قريب من هذا.

وقد وجدت ثمرة هذه الوصية في رسالة الدكتوراه وفي غيرها من البحوث، وأمور الحياة، فالإنسان لا يعلم ما يقع له من ظروف وعوائق، فإذا أنجز عمله قبل وقته أو في وقته ارتاح وخلا ذهنه من همّ العمل المؤجل، وسلمت نفسه من القلق الذي يصاحب تأخير الأعمال، ولم يفتح المجال لأحد أن يلومه أو يقول له قولًا يجرحه.

❋❋❋

معرفة العقول من الأفعال

كان لنا عمّ يسكن في البر، في بيت الشعر، وعند غنمه، وكان ذا حكمه، وكنا نزوره مع الوالد، وكنت حينها قد ناهزت الاحتلام، وكان عمي يتحدث مع الأطفال كما يتحدث مع الكبار، ويعطيهم من الوصايا والنصائح التي استفادها من الحياة، وأذكر أننا إذا أردنا أن نصب الماء من الوعاء الكبير (الجركل) كان يقول لنا: **(تعرف عقل الرجال من صبّه للماء)**.

هذه الكلمة من الكلمات الحكيمة، وهي معرفة العقول من الأفعال دون الكلمات، فالكلمة لا شك أنها تدل على العقل، لكن الفعل والتصرف قد لا يميز به بعض الناس العقول، فالذي يصب الماء بعجلة وينثره هنا وهناك يدل على خفة وطيش في عقله، والذي يصبه بهدوء وتؤده يدل على رزانة وتعقّل.

وقد جاء في القرآن وصف عباد الرحمن بأنهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [سورة الفرقان: آية ٦٣] وهذا يدل على الحلم والسكينة والوقار، وقال الله عن بنت شعيب ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى

﴿ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص: آية ٢٥] فمشيها دلّ على حيائها، وقال إبراهيم النخعي: «ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق». فكانوا يعرفون مروءة الرجل في التفاته.

وأذكر أننا كنا طلابًا في حلقة القرآن في المرحلة الثانوية، وسأل المعلم سؤالًا: عن أسباب قسوة القلب؟

فكل طالب ذكر سببًا، وأحدهم أجاب إجابة غريبة، حتى إن المعلم استغرب منها، وقد كان من أصغر الطلاب في المجموعة، فقال: من أسباب قسوة القلب: كثرة الالتفات!، لم نستوعبها، وتوقف المعلم عندها، ولعلّه لم يقتنع بها، ولكنه واصل حتى لا يُحرج أخانا، ثم مع الزمن تكشّفت لي إجابته، واقتنعت قناعة تامة بصوابها، سواء كان يقصد الالتفات بالقلب أو بالعين، والذي يهم هو أن كثرة الالتفات تدل على ضعف العقل والمروءة والدين، والناس في مجتمعنا ينقدون الشخص الذي يلتفت كثيرًا وهو يمشي، ويصفونه بقلّة العقل.

وعلى أية حال، فالإنسان عليه أن يقوّم تصرفات الناس، ويعرف عقولها من تصرفاتها وأفعالها، فإما أن يدل التصرف على رزانة وحلم ووقار، فيحرص على التعرف عليه، أو الأخرى فيرتاح من التعرف عليه أو تمديد جسور الوصل معه.

❋❋❋

احرص على العنوان الذي فيه نفع

لما أردت اختيار عنوان لرسالة الدكتوراه، زرت المشرف الشيخ عبدالله بن حمد السكاكر -حفظه الله- في بيته، فكان يوصيني بأن أحرص على موضوع فيه نفع لي وللناس، ثم قال لي: (**رسالة الدكتوراه مثل ابنك البكر فالناس يكنونك به**).

وقد صدق بذلك، فطلبة العلم يتعارفون بكتبهم، وكم من طالب علم التقيت به لأول مرة، وكأني أعرفه من زمن بسبب معرفتي لرسالته وقراءتي لها، وكم من شيخ أو طالب علم تم التعارف بيننا بعناوين رسائل الدكتوراه، وكم من صديق كتب رسالة بعنوان ليس له فائدة كبيرة؛ مستعجلًا الحصول على الدرجة ثم بعد زمن ندم ندمًا شديدًا، يقول لي أحد الدكاترة: (رسالتي لو طبعتها لم يشترها أحد، ولو أهديتها لم يقرأها أحد) ولها أكثر من ثلاثين سنة لم تر النور، ويقول لي دكتور آخر: (إني أخجل لو قال لي أحدهم: أرسل لي رسالتك الماجستير) وذلك أنه استعجل، وكتبها بأخطاء علمية وبحثية، ومنهجية، ولم يظن أنه سيحتاج لها

يوما ما، والقائمة تطول بذكر القصص في ذلك؛ لذا على الباحث: أن يحرص على العنوان الذي فيه نفع، ويحتسب الله في الوقت، ويستشعر أنه في عبادة، وإذا صدق مع الله وفقه ويسر له، وطوى عنه بعده.

❋❋❋

اقرأ ثم اكتب باختصار ما قرأته بأسلوبك

أشرف عليّ أحد الدكاترة في بحث من البحوث، وبعدما كتبت مجموعة من الأوراق، أتيته فرحًا بها، وظننت أنه سيفرح ويشجعني، فمزقها، وقال لي: (**اقرأ كلام العلماء ثم بعدما تفهمه فاكتبه مختصرًا بأسلوبك أنت، ولا تأتيني بالدليل بثمانية أسطر، فلا تتجاوز في الدليل ثلاثة أسطر، ولا في ترجمة الأعلام ثلاثة أسطر، وهذه الستين ورقة أريدها في عشرين ورقة**). كان الموقف قاسيًا بخاصة تمزيقه للورق، وقد كنت مبتدئًا، وظننت أني صنعت شيئًا كبيرًا، وأنه سيفرح به، ولكن -مع نقدي لأسلوبه وطريقته في توجيهي وتمزيق الورق- استفدت من هذه الكلمات فائدة كبيرة، فعدت إلى الشقة التي أسكن فيها، وظللت أقرأ الكلام، وأعتصره اعتصارًا حتى لا يطول، ووجدت لهذه الطريقة فائدة في جميع بحوثي الأخرى، وهي ما أوصي بها كل باحث.

❋❋❋

لا تقلل قيمة بحثك وعملك

بعدما أنهيت مناقشة الدكتوراه، وأردت طباعة الرسالة اتصلت بالشيخ محمد بن إبراهيم الحمد -حفظه الله-، فقرأت عليه المقدمة التي كتبتها، وكالعادة في آخر المقدمة يعتذر الباحث للقارئ أنّ هذا جهد المقل، وأنه ليس أهلًا لأن يكتب، وغيرها من هذه الكلمات، فقال: (**لا تقلل قيمة بحثك وعملك**)، وكلامه جميل، فالباحث يكتفي في ختام المقدمة بأن يستغفر الله عن الخطأ، ويطلب منه العون ويتوكل عليه، وينسب الفضل له، وليس بحاجة أن يطيل في كلمات فيها تهوين للجهد الذي قام به أو ينقد نفسه بما ليس فيها، سواء كان صادقًا أو تواضعا منه، والقارئ سيميز البحث، فلو مدح الباحث بحثه وأثنى على نفسه وكان البحث غير جيد، فلن ينفعه المدح ولا الثناء، بل يشينه، وكذلك نقد النفس والتهوين منها لا حاجة له، فليترك الباحث الحكم للقارئ، فكل طالب علم يدرك أنه لا يخلو عمل من نقص، وأن الأعمال تقوّم بالغالب فيها.

ومما يدخل في هذا -أيضًا- أنّ بعض المؤلفين والباحثين عندما يعطي أحدًا كتابه أو بحثه، يقول له: (أكرمني بملاحظاتك، أو أسعد بملاحظاتك)، وما من شك أن الباحث المخلص الصادق مع العلم يفرح بالملاحظة التي تأتي من أهلها وتطوّره وتزيد عمله إتقانًا، ولكن التوسع في هذا غير جيد، وملاحظات الناس لا تنتهي، وهم طرائق ومشارب وثقافات وتوجهات، ولن ينتهي من ملاحظاتهم، ثم إن الإنسان إذا قرأ بعقلية الناقد فهو واجد لا محالة ملاحظات وأخطاء، وبعضهم يرى القبح في عمق الجمال، والظلمة في تفاصيل النور.

والعقل البشري إذا قرأ بعين النقد بانت له المساوئ، وإذا قرأ بعين الرضا غابت عنه، وفي تحكيم البحوث والرسائل العلمية ومناقشاتها براهين على ذلك؛ لذا على الباحث والمؤلف أن يستشير من يثق بعقله وعلمه وأمانته قبل خروج العمل؛ فإذا خرج فلا يطلب من أحد ملاحظة، وستأتيه -دون أن يطلبها- من كثير، فعَين الرضا تثني، وعين السُخطِ له تُبدي، فلا يغتر بالإطراء

غير المنضبط، ولا يحزنه النقد غير العادل، وليصلح ما يراه خطأ بحتًـا، وأما غيرها فإنه لن ينتهي، فليترك هذا العمل ويتوجه لغيره من الأعمال، وليسأل الله القبول، والعفو عن الزلّات.

❋❋❋

كلما جاءني ضيوف دعوت الله أن يسعدهم عندي

أعرف شيخًا كريمًا جدًا، وهو مضرب مثل في الكرم، يأتيه في بعض المناسبات المئات، والمناسبات عنده مستمرة، يزوره الناس من كل مكان، محبوب جدًا، ويفرح بمن يأتيه، ويكاد يطير من الفرح بالضيوف، وفي تلك الليلة التي يزوره محبوه يأتيه نشاط عجيب، وهمة، وانتعاش، ولولا أنه يغضب من ذكر اسمه -هنا- لذكرته، وكان يخلق المناسبة ليدعو الضيوف، وكل مناسبة عنده فيها أُنْس وسعادة، ويخرج المدعوون يثنون ويشكرون، ومرة جرى بيني وبينه اتصال، وأخذنا الحديث، فقال: (**أنا كلما جاءني ضيوف دعوت الله أن يسعدهم عندي**)، وهنا عرفت السر، وهو الابتهال إلى الله والتضرع إليه، قبل المناسبة بأنّ يجمّله الله، ويستره، ويسعد ضيوفه.

والابتهال إلى الله مهم قبل كل عمل، ولكن بعض الناس ينسى أحيانًا في زحمة الاستعداد للضيوف أن يبتهل، ويتضرع إلى الله، بل بعضهم ينسى السنن وأذكار الصلاة، مع أنه لو تريث وابتهل في سجوده أو رفع يديه لأدرك كل ما يستعجل إليه، وهذه ليست

خاصة بصاحب الدعـوة، ورب البيت، بل حتى الزائر والضيف، فإنـه قبل أن يدخل أو وهـو في الطريق فليخصـص وقتًا للحوقلة واللجـوء إلى الله أن يجعله مباركًا وينفعه وينفع به، فقد قرأت أنّ أحـد الصالحين ذهب إلى صديقين بينهمـا خصومة قديمة عجز محبوهـم عن الإصـلاح بينهم، يقول هذا الرجـل: (فلما أوقفت سـيارتي، ظللت فيهـا أدعـو الله أن يصلح بينهـم وأن يفتح علي، فدخلت وتكلمت بكلام معـروف قاله لهم غيري كثير، فهداهما الله وقامـا وتصالحـا، فاسـتغرب بعض الحاضريـن، ولا يدرون ما السـر) والسـر ليـس في الكلمات التـي قيلت، فقد سـمعوها، ويعرفونهـا، وإنمـا هو اللجـوء إلى الله قبل السـعي في الإصلاح، ودعـاء الله قبـل الدخول إلـى المجلس؛ لـذا على طالـب العلم الحريص على نفع الناس أن يلزم الدعاء واللجوء إلى الله قبل أن يزور أو يُزار.

وأذكـر مرة أني سـألت الوالدة: فقلت (يا يمّـه؛ كل أصدقائي الذين يأكلون من أكلك يثنون عليه، مع أنّ التركيبة له، والوقت في طبخـه، يصنعه كثير من الناس، فما السـر؟)، فقالت: (يا وليدي؛

أنا أرفعها لله عمياء، والله ينزلها لي مبصرة)، فعرفت أن القضية ليست بالمكونات ولا المقادير ولا الوقت، بل أمر آخر، وهو توفيق الله، وبركته، وكثير من الناس يُسمي هذا (نَفَسًا)، ولو سألته أن يشرحه لك لما استطاع، فالمكونات والمقادير واحدة والوقت واحد، وهذه تختلف عن تلك، وكثير من النساء يتابعن طباخًا واحدًا، أو يأخذن من كتاب واحد، ويلتزمن التعليمات ذاتها، ثم تجد بينهن فرقًا كبيرًا.

ويعمل كثير من الناس العمل نفسه، ويقولون الكلام نفسه، وهذا له قبول، وذلك لا تجد له قبولًا، وكلها أمور ربانية، لا يمكن أن تشرح.

وأذكر مرة أنّ أحدهم سألني عن البركة ما معناها؟

فنقلت له كلام العلماء، وشرحها اللغوي، وأرسلته له، وأنا أشعر أني لم أستطع وصفها ولا شرحها؛ لأنها أمر رباني لا يحيط به الوصف، فقلت: الزيادة، والنماء، والبقاء، وكل هذه الأمور موجودة عند أناس في أموالهم وأولادهم وتجاراتهم، ولا توجد عندهم بركة، وتجد شخصًا لا يبقى عنده مال، ولا يزيد، وبالكاد

يبلغ راتبه آخر الشهر، ثم تجد عنده بركة فيعيش عيشة الأغنياء، وفيه انشراح الأولياء، وقد تمّلك مع الزمن أمورًا لو قَسمتَ راتبه عليها فقط، لما وفى بها، فكيف وعنده مصاريف أخرى؟ فهذه كيف تقاس؟ وكيف يمكن شرحها؟

وسمعت من أحد المشايخ في مدينتا أنه زاره شخص متخصص في الإدارة المالية، فقال له: هل تحب أن أساعدك على إدارة راتبك؟ فقال له: يا ليت! فقال: كم راتبك؟ وما التزاماتك المالية؟ فأخبره بكل ذلك، فأخرج الحاسبة، وبدأ يحسب، ثم قال له: بناءً على راتبك هذا، والتزاماتك هذه؛ فيفترض أن تكون مدينًا كل شهر بألفي ريال! فقال له الشيخ: هل تصدق أني أنهي جميع هذه الالتزامات، وأوفر من راتبي؟! فقال له: مستحيل!

وما علم هذا الأخ أن المستحيل مصطلح أرضي، وأما السماء فلا يجد فيها مستحيل، فإذا نزل الأمر من السماء تكسرت مصطلحات الأرض وتلاشت.

❋❋❋

تجارب وخبرات يُستفاد منها في الحياة

سمعت أحد المشايخ يوصي طلبة العلم بـ(**ألّا يستأثروا بالحديث في المجالس، وليتركوا للناس فرصة للحديث، فعندهم تجارب وخبرات سيستفيد منها في الحياة**) كلامه يدور حول هذا، والحقيقة أن للعلم سطوة على النفس، وطالب العلم لحرصه على الفائدة يمل من سماع كثير من أحاديث الناس؛ لأنها غير مفيدة عنده، وغالبها في الماجريات، فهذا يجعله يزهد في مجالسة الناس، وحضور مناسباتهم، وإذا حضر حرص على النفع والفائدة فيستأثر بالحديث، وهذه قد تكون عادة له، فيكون حضوره ثقيلًا وحديثه مملًا، فالناس يريدون الحديث في أمور دنياهم، وما يجري فيها من أحداث، ومما يجعل طالب العلم كثير الحديث أنه يمتلك في جوفه علمًا كثيرًا، وفوائد جمة، ويكون قليل المخالطة؛ فإذا جلس مع الناس يريد أن يُخرج كل ما في جوفه من العلم والفوائد، فلا يترك للناس مجالًا للحديث، وقد زرت شخصًا مدمنًا على القراءة قليل المخالطة، فلما جلسنا لم يعطني فرصة للحديث، وكانت الجلسة مليئة بالمعلومات،

فأحسست بمعاناته، فأنصت له.

وقد سمعت من أحد الدكاترة أن (**مخالطة المدمن على قراءة الكتب للناس تحتاج إلى قوة نفس؛ لأنه يجد لذته وأنسه مع الكتب، وانفكاكه عنها إلى حديث الناس مع عدم فائدتها يحتاج إلى قوة وأن ينزع نفسه نزعًا من المكتبة إلى الناس**). بنحوه.

وطالب العلم عندما يستشعر الأجر العظيم في مخالطة الناس فإن هذا الشعور يجعله يذهب إلى الناس بطيب نفس، ويعلَم أنه يتقلب من عبادة إلى عبادة، من العلم إلى تطبيقه، وأيضًا فليكن ذكيًا فطنًا في مشاركة الناس حديثهم والسماع لهم، والتحكم بتوجه الحديث دون أن يشعر الناس به، فالشريعة شاملة للحياة، وما عليه إلّا أن يداخل بمداخلات تنفع الناس دون أن يستأثر بالحديث، أو يشعرهم أنه يلقي عليهم درسًا أو موعظة، إلّا إن رغبوا في ذلك، وطلبوا منه الحديث، وأحيانًا يكون تأثير صمته أكثر من تأثير حديثه.

❋❋❋

وكم من كتاب كان سببًا للضلال

أغرب جواب سمعته في الجامعة من أحد الدكاترة وقد كان يشرح حديث الاستخارة، وقال: إنّ الإنسان يركع ركعتين غير الفريضة ويستخير الله، فيدخل في ذلك كل ركعات النوافل والسنن، فسألته: يا شيخ؛ هل يستخير الإنسان قبل قراءة الكتاب؟ فقال: (**نعم، وكم من كتاب كان سببًا للضلال**) أو قريب من هذا.

وإن كنت لم ألتزم الاستخارة عند قراءة الكتب، ولكن حديثه عن كون بعض الكتب سببًا للضلال صحيح، وكم من طالب علم سبح في كتب فكرية وفلسفية ثم غرق ولم يعد إلى حياة العلم الشرعي، بل أبعد عن الله كثيرًا ووجّه سهام نقده إلى مراحله الأولى التي كان فيها في حلقات العلم وحفظ القرآن، وعادى رفقاء دربه، وسلقهم بلسان حاد.

وأذكر أنه في بداية التوجه إلى قراءة الكتب كانت الموضة في القراءة عند كثير من أقراني والشباب الذين ألتقي بهم في كتب تطوير الذات، وكتب الفكر الإسلامي -بغض النظر عن الخلاف

في مصطلح الفكر الإسلامي-، وكان لي أصدقاء من هؤلاء وهؤلاء، وكانت مجالسنا في الحديث عنها، ومتابعة الجديد فيها، ولعل السبب في انتشار هذه الكتب بين طلبة العلم في ذاك الوقت أن بعض المشايخ المشهورين يثنون على بعضها، فأما نحن فوقعنا عليها كلها، ووجدنا في قراءتها لذة، كما يجد الطفل لذة في السكريات ويفر من الأكلات المفيدة، ولكن، كان هناك ضرر على كثير منّا (الحديث عن المجموعة التي كنت معهم، وجالستهم، ولا أتحدث عن غيرهم)، وسأتحدث في مسارين، المسار الأول عن كتب تطوير الذات، والثاني عن الكتب الفكرية، ولا أتحدث عنها حديث الغريب الذي يسمع عن بلد بعيد، بل كنت مقيمًا فيها، وكنت أنهي كتب فلان المفكر الإسلامي ثلاثين كتابًا أو أكثر ثم أبدأ بالثاني، فأقرأ مثلها، والثالث وهكذا، وقد قرأت لكل -وليس بعض- المفكرين الإسلاميين المعاصرين، وقلت ذلك؛ لأن بعض الذين يقرؤون فيها لا يقبلون نقد طلبة العلم لها؛ ويقولون إنهم بعيدون عنها ولا يعرفونها، وإنما يتحدثون حديث الغريب الجاهل بها، وكلامهم حق -في الغالب- وأريد به باطل.

أعـود للحديث عن هذه الكتب، فأما كتب تطوير الذات ففي بعضها دراسات جادة ومفيدة ومبنية على تجارب ودراسات وهي مفيدة، وقد استفدت منها في حياتي الشخصية، وفي إلقاء الدروس على الطلاب، وفي تربية نفسي وأولادي، ولكـن فيها غثاء كثير، ومخالفـات عقدية، وقوانين شـركية وإلحادية، وللأسـف أننا في ذاك الوقت كنا مقتنعيـن ببعض هذه القوانين ونرددها، ونتحدث بهـا في بعض المجالـس، وكثير مـن النظريـات والقواعد في هذه الكتـب كانت نتيجة اسـتقراء ناقص أقيم علـى مجموعة قليلة ثم بنـوا عليها قاعـدة أو جعلوها قانونًا وعمموهـا، وقد بُنيت غالب هذه الكتب على ثقافة بعيدة عن الإسلام، والنجاح الذي فيها كله مـادي معزول عن الفـلاح، فقصص الناجحين كلهـا لمن حازوا على أموال وشهادات، ولن تجد من يحدثك عن النجاح المقرون بالفـلاح والفـوز بالآخـرة، وإدمان هـذه الكتب يقسـي القلب، ويضعـف التدين، ويصرف المسـلم عن الهدف الأسـمى الذي خُلـق لأجلـه، ويجعل تقويمه للأشـياء أعور، وبعـض المدربين المسـلمين الذين يقيمون الـدورات فيها يوجهون سـهام نقدهم

على المشايخ والعلماء، ويطلقون عليهم ألقابًا منفرة عنهم، ومن ذلك أني حضرت دورة لأحدهم في فن الإلقاء، وكان يتحدث عن أهمية تغيير نبرة الصوت في الإلقاء، ثم أراد أن يعطي أمثلة من الواقع، ففتح على مقطع من كلام للشيخ ابن باز -رحمه الله- ، وكان الشيخ يتحدث على وتيرة واحدة، دون أن يرفع صوته أو يخفضه كما يريد المدرب، ثم نقد هذه الطريقة في الإلقاء! فلمَ اختار الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟ ولمَ لمْ يأت بأحد المدربين في الدورات التطويرية، أو المفكرين، أو أي بشر آخر؟! وهل كان يظن أن الملايين الذين يستمعون للشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وينصتون له جذبهم نبرة صوته؟! ولو فقه الأمر لأدرك أن هذا قبول من الله، وأن الناس يريدون العلم والحكمة التي يقولها الشيخ، ولو كان الشيخ يتحدث بلغة الإشارة لتعلَّم كثير من طلبة العلم هذه اللغة ليدرسوا على الشيخ ويفهموا كلامه.

وكذلك سمعت محاضرات كثيرة لأبرزهم، وقرأت كتبه، فكانت لا تفوت محاضرة إلّا وينقد المشايخ وآراءهم بخاصة المتعلقة بالمرأة، ويطلق عليهم ألقابًا غير لائقة.

ولي أصدقاء تأثروا بهم فصار حديثهم كله نقدًا للمشايخ ويتحدثون عن القضايا الدينية بجهل، وتهاونوا بقضايا الاختلاط، والنساء، والصلاة في المساجد، بل تأخير الصلاة عن وقتها، وبعضهم ركبته الديون وانفصلوا من زوجاتهم بسبب بعض القوانين التي حفظها، وظن أنه يجذب القدر الذي يريد، ويصنع قدره.

فعلى طالب العلم ألّا يغامر في قراءة هذه الكتب وليكن حذرًا مما فيها، وليستخر الله وليستشر أهل الخبرة إن أراد قراءة بعضها، ففيها كما قلت دراسات جادة ومفيدة.

وأما الكتب الفكرية، فقد ضرت كثيرًا، فأغلب المفكرين ليس لهم إلمام بالأدلة الشرعية، وكانوا يفهمون الأدلة على ضوء ثقافة العصر، ويحاولون تطويعها لتوافق الواقع، فيشرحون الحديث حسب ما تهواه أنفسهم، فإن وقف الحديث في وجوههم توجهوا إلى الطعن في الحديث أو مفهومه، أو في حجية الحديث كلّه، وبعضهم ينتقد من وراء حجاب، وكأنه يُسلم للحديث ثم يقوضه من جهة التأويل، وكأنه يحامي عن الإسلام، وهو يهد

أركانـه، وهذه الطريـق هوّنت النصوص في قلـب القارئ، ثم مع كثـرة هذه الطـرق، يصاب القارئ بخلل في الأسـس، والأصول، فلا يقف شيء في وجهه، فالحديث يمكن رفضه، والآيات يمكن تأويلها، وهذا ما أصاب بعض الأصدقاء، فلي صديق، كان مكثرًا من قراءة كتب ابن القيم وكان يستحضر كثيرًا من نصوص مدارج السـالكين، ثم انتقل إلـى كتب فكرية، وبدأ ينتقـل من كتاب إلى كتـاب، ثم انقطعت العلاقة بيننا، ثم واجهته بعد سـنوات في أحد المسـاجد، فقـال لـي: لقـد وصلت الإلحـاد ثم الله هـداني، فقد قرأت وقرأت حتى قرأت كتب فلان الذي ألحد، وتركت الصلاة وأصابنـي الريب والمرض، ثم ردني الله إليه، وصديق آخر أصبح يشكك في بعثة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعالمين، وأصدقاء هجروا المسـاجد، بل كنت في دورة مع مجموعـة، وكان هناك أربعة من خريجـي الشـريعة، فإذا أقيمـت الصلاة لا يصلـون معنا، ويقول أحدهـم: إلى الآن تصلون؟! ومن أسـباب هذه الانحرافات هذه الكتب، وأما قسـوة القلب فحدث ولا حـرج، وأما الخواء الذي في كثير منها والسطحية في الطرح، ودس السم فيما يُظن أنه عسل فكثير جدًا، ولا أقول هذا مجازفة أو عاطفة، بل عن خبرة واطلاع.

ومما ضرَّني في تلك الفترة وصيتان في القراءة، فالوصية الأولى: أني اتصلت بأبرز المهتمين بالقراءة، فقلت أوصني ببعض الكتب، فقال: اقرأ ما يعجبك!، فهذه وصيته أنّ القارئ يكون واثقًا من نفسه فيقرأ أي عنوان يقع في يديه أو يعجبه، وهذه وصية آثمة، وقد كان لها ضرر وضياع أوقات، وكما قلت قبل قليل بعضهم لم يقف فوصل إلى كتب إلحاد وشرك، ودخل في مشكلات في حياته الشخصية والأسرية وبعضهم مرض أمراضًا نفسية بسبب الخلل الذي سببته في تفكيره، فكثير من الأسئلة العقلية إجاباتها بالإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لله، فإذا هززت هذا الركن في قلبه، أو هدمته، دخلته الشكوك والحيرة والتيه والضياع، وقد رأيت ذلك من بعضهم.

فيفترض أن يكون المستشار أمينًا، وصادقًا، وألّا يظن أنّ الشاب المبتدئ أو الفتاة مثل عقله أو يقينه، فعليه أن يوصي بالكتب الآمنة البعيدة عن المخالفات، أو يعتذر عن الجواب، أما أن تقول لطفل صغير لم يطعم الطعام: كل ما يعجبك وما تقع عليه يدك، فأنت تجني عليه.

الوصيـة الثانيـة: حفظت القـرآن قبل الذهاب إلـى الجامعة، وكان حفظًا سـريعًا غير متقن، فلما دخلت الجامعة كنت أراجع، وأتنقل عند من يسمع لي، فقال أحد المشهورين بالقراءة: الحفظ غير مهم، ومع كثرة القراءة سترسـخ النصوص في الذهن، والفهم أهم. وهذه وصية أخرى آثمة فقد اقتنعت بها؛ لأن الشـخص كان متدينًا وطالب علم وثقة، فنسـيت القـرآن، ولم أعد إلى مراجعته إلى بعدما أنهيت السـنة الأولى في دراسة الماجستير، والسبب في رجوعي إلى الحفظ: أني كنـت أقرأ كتابًا مترجمًا عن الصبر، وفي أول الكتاب جاءني سؤال: ماذا تريد؟ فتوقفت وأغلقت الكتاب، فقلت لنفسـي: أنا أدرس ماجسـتير الفقه، وأريـد أن أكون فقيهًا. السـؤال الثـاني: ما الـذي يوصلك إلـى ما تريـد؟ فأجبت: حفظ النصـوص: القرآن، وفي السـنة: بلوغ المرام (كان أحد المشـايخ في الجامعـة يقـول لنا: كل أدلـة المذاهب على الأحـكام الفقهية موجودة في بلوغ المرام)، السـؤال الثالث: هل أنت تسـير إلى ما تريد؟ فكان الجواب: لا.

هنا قررت أن أغير التوجه، وكانت الإجازة على الأبواب، ثم كتبت لتلك الإجـازة برنامجًا فيه مراجعة للقرآن، وحفظ البلوغ، ويسـر الله لي أن أعود إلى حفظه، ثم وفقني الله فأخلصت قراءتي -في الغالـب- في الكتـب الشـرعية، وقد كنت قرأت كثيـرًا منها، وأقرأ فيها تلك السـنوات، ولكن كانت قراءة غير مرتبة، ثم يسـر الله أن أخلص القراءة فيها، ولله المنة والفضل.

❋❋❋

القلق يأتي في بداية المراحل الجديدة

بعدما تزوجت بأسبوع أو أسبوعين (عام ١٤٢٣هـ) أتاني ضيق جثم على صدري، وصاحبني في كل مكان، وأتعبني التفكير بسبب هذا الضيق، فلعلي أصبت بعين، أو غيرها، وفي عصر أحد الأيام اتصل بي أحد المشايخ من مدينتنا، ولي زمن عنه، وهو يعلم أني تزوجت من أسبوع أو أسبوعين، فقال: هل جاءك ضيق؟ قلت: نعم، فمن الذي أخبرك؟!، فقال: لم يخبرني أحد، ولكنه جاءني بعد زواجي، فقلت لعلي أتصل بك وأخبرك بـ(**أن هذا شيء طبعي وسيذهب، فلا تقلق بسببه**).

وهذا الكلام كان سببًا في زوال التفكير، وإن لم يذهب الضيق، فقد أراحني من البحث في السبب، ثم بعد أيام ذهب هذا الضيق ولله الحمد، ووجدت مع الزمن أن القلق والضيق يأتي في بداية المراحل الجديدة، فعندما سافرت للدراسة في الجامعة كانت الأيام الأولى أو الأشهر الأولى مقلقة، والذهن مشتت، ومن فترة لأخرى يضيق صدري فأبكي، ثم يسر الله لي، فصارت خيرة بفضل الله، وزانت الأيام هناك، وكانت جميلة جدًا، وفيها فوائد

وخبرات، وكذلك بعد دراسة الماجستير، وبعد العمل الجديد، والبيت الجديد، فالبدايات فيها قلق، وتخوف، لأن المرحلة جديدة، ثم تتضح الأمور، ويذهب القلق، ولكن لا بد من الصبر في الأيام الأولى.

وأذكر أنه جاءنا قريب يريد أن يدرس الطب، وكنا مجموعة في الشقة، وكان أول يوم في رمضان، فلما جاء الفطور، ذهبنا إلى المطاعم وأحضرنا بعض الأكل، فلما رأى السفرة، وتذكر أمَّه وفطورها والسفرة الممتدة من كل الأصناف، والأنس مع الوالدين والإخوان، لم يأكل كثيرًا ثم ذهب إلى سيارته، فأتيته ووجدته يبكي، فقال: أريد العودة إلى أهلي، قلت له: اصبر، فكلنا قبلك مر علينا الضيق، وصبّرنا الله، والحمد لله ذهب الظمأ وابتلت العروق ومشت الأيام، فقال: لا أستطيع، ثم عاد من ليلته، ولم يبت عندنا، وترك دراسة الطب، ودرس في مدينته في أحد التخصصات.

فالحياة تحتاج صبراً بخاصة في البدايات، وعندما تبدأ مرحلة جديدة وتكون فيها صعوبات وغربة، وأحيانًا فقر، وأحيانًا تجد تصرفات غير جيدة من بعض الناس، فمن صبر ظفر.

تخصص الشريعة بحاجة لأذكياء

لما كنت في الصف الأول الثانوي، كانت درجاتي في المواد العلمية بخاصة الرياضيات كاملة، وكنت في إحدى المكتبات الصغيرة في مدينتنا، ومعي صديق متفوق في دراسته، كنّا طلاب حلقة واحدة، فدخل علينا أحد مدرسي الدين، وكان يعلم عن درجاتنا في المدرسة، فقال لنا حديثًا عن أهمية دراسة الشريعة، وكان من كلامه (**لم لا يذهب الأذكياء إلى الكليات الشرعية، ولا يذهب إليها إلّا أصحاب المعدَّلات المنخفضة؟! فالشريعة بحاجة لأذكياء**)، وكان كلامه يدور حول هذه النقطة وأن الشريعة بحاجة للأذكياء، ولم الأهالي عندما يرون معدل ولدهم مرتفعًا يوجهونه إلى الطب والهندسة وغيرها من التخصصات الطيبة؟! فمع أهمية هذه التخصصات، فكذلك الشريعة تخصص مهم وهو بحاجة إلى أذكياء ومتميزين.

أجزم أنه نسي هذا الكلام، فله الآن قرابة الثلاثين سنة، ولكنه رسخ في ذهني ولم أنسه، وصرت أذكره من حين لآخر، بل إني إذا

وجدت عائلة كل الأولاد تخصصوا تخصصات علمية، فأقول لوالدهم أوقف أحد أولادك لله، واجعله يذهب إلى كلية الشريعة فهو ذكي، وقد ينفع الله به، وأول من ينتفع به أهله ومحيطه بخاصة إذا طرح الله فيه البركة.

❋❋❋

لا تغتر بمظهر الشخص

عملت بعد المرحلة الثانوية في بيع الأغنام، وجلست على ذلك ستة أشهر، وفي بداية العمل، اتصل بي أحد المشايخ في مدينتا، وقال: (**لا تغتر بمظهر الشخص فتبيع له بالدَّين (الآجل)، فهناك بعض الذين ظاهرهم الصلاح غير أوفياء ومماطلين**) بنحوه.

كنت حين هذا الكلام في عمر العشرين سنة، وظني في كل الذين ظاهرهم الصلاح حسنًا وطيبًا، وهذا الشيخ خشي عليّ أن أتعامل مع بعض المماطلين فيسبب لي نظرة غير جيدة، وقد يسبب ردة فعل قوية، وبعد مدة توظفت في المحكمة وعملت فيها سنتين ونصفًا، وقد كنت الكاتب الذي يكتب شكاوي الناس على بعضهم، وكان غالبها في الديون، وقد مرت بي بعض أسماء الذين كان يقصدهم الشيخ، وإن كانوا قلّة، أو نادرين مقارنة بعدد الشكاوي، ولكنهم موجودون، والحذر منهم مطلوب؛ فالمال محبوب ويبين معادن الناس وصدق تدينهم والتزامهم بأوامر الله

واجتناب نواهيه، فعلـى طالب العلم أن يكون وفيًا، وأن يعلم أن مماطلته وعدم إعطاء الناس حقوقهم يصد كثيرًا منهم عن العلم، ويشـوّه صورة أهل الخير، وعلى طالـب العلم أن يكون حذرًا في معاملاته المالية، ولا تغرّه مظاهر الناس.

❋❋❋

هذا قرارك داخل بيتك

في بداية الـ(فيس بوك) كنت أتابع جدالًا بين شخصين؛ فأغضب أحدُهما صاحبه، فرد عليه: سأحذف متابعتك! فكتب له الآخر: (**هذا قرارك داخل بيتك**). وانتهى الجدل.

استوقفتني عبارته (**هذا قرارك داخل بيتك**) ولم أنسها.

فهناك قرارات خاصة بك، داخل بيتك كما قال، وهي صغيرة جدًا، فلم تظل محرجًا قلقًا في اتخاذ القرار فيها، ومن ذلك المجموعات في الـ(واتساب)، فالقرار خاص بك، تدخل أو تخرج، تدخل فترة ثم تغادر، وكذلك متابعة الناس في الوسائل الكثيرة، فهذه قراراتك داخل بيتك وهي صغيرة جدًا ولا علاقة للناس الذين خارج بيتك فيها؟!

فلمَ وأنت في بيتك ومع أولادك وأهلك تصنع أمرًا تكرهه، وتؤذي نفسك؛ لأجل شخص خارج البيت لم يدر عنك ولم يشعر بشعورك؟! والقرار خاص بك، ولا يتعلق به، وصغير جدًا لا يحتاج أن تستشيره فيه؟!

فإما أن تستأذن بأدب، أو تغادر بهدوء، وضع نقطة.

قضية الرياء

في بداية التدين والتوجه إلى الله أو طلب العلم الشرعي، يتعب المتدين أو طالب العلم من قضية الرياء، فكلما عمل عملًا قال له الشيطان أنت مراء، فمرة يفعل العمل، ومرة يتركه، ولكن لوم النفس وتأنيب الضمير لا ينقطع عنه، وهذا يتعبه كثيرًا، وقد كنت أقرأ في كتاب الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) ووقعت على كلام له جميل في هذه القضية، فقد قال: (**وينبغي للإنسان أن يبعد عن نفسه مسألة الرياء في العبادات؛ لأن مسألة الرياء إذا انفتحت للإنسان لعب به الشيطان، حتى إنه يقول له: لا تطمئن في الصلاة وأنت تصلي أمام الناس؛ لئلا تكون مرائيًا، وحتى يقول له: لا تتقدم للمسجد؛ لأنهم يقولون إنك مراءٍ، ويقول: لا تنفق؛ لأنهم يقولون مراءٍ، وأيضًا أنه إذا اتبع السنة قد يكون قدوة لغيره، فمثلًا لو دعاك أحد لغداء في أيام البيض، وقلت: إني صائم حصل بذلك تمام العذر لأخيك فعذرك**

(١) أخرجت الفوائد التربوية من الشرح الممتع للشيخ، ونشرتها عام ١٤٣٠، وهي منشورة في الانترنت.

وربما يقوده ذلك إلى أن يصوم فيقتدى بك، فالمهم أن باب الرياء ينبغي للإنسان ألّا يكون على باله إطلاقا، والله ـ سبحانه ـ مدح الذين ينفقون أموالهم سرًا وعلانية حسب الحال قد يكون السر أفضل وقد تكون العلانية أفضل).

ثم وجدت كلامًا قبل مدة يسيرة لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قريبًا من هذا، وهو قوله: «ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى، أو قيام ليل، أو غير ذلك، فإنه يصليه حيث كان، **ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس**، إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرا لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء، ومفسدات الإخلاص».

فهذا الكلام يريح النفس من وسوسة الشيطان ومداخله، فيقدم على العمل دون تفكير، أو قلق، وينتهي منه كذلك، وإذا وسوس له أهمله ولم يفكر فيه، ومع الوقت يتركه، وهذه أفضل طريقة مع وساوس الشيطان وشكوكه، فإذا ألقى طالب العلم أو المتدين بالًا كبرت وزادت، وإذا أهملها ولم يسترسل معها اضمحلت وتلاشت.

لا تصاحب إلا مؤمناً

كان عندنا في الجامعة دكتور ملحد، وقد سمعت به، وعن أخلاقه وعلمه في تخصصه، ووجدته -مرة- عند أحد الأصدقاء فتحدثت معه عن الإسلام، فإذا به عنيد جدًا، ومراوغ، ويحمل في عقله ملفًا عن أخطاء الطلاب، وقال لي: (بدلًا من دعوتي إلى الإسلام فادع الطلاب الذين ندرّسهم ليطبقوا الإسلام).

وقد كان يحمل روحًا خفيفة، وذكيًا، ومطلعًا، وكريمًا، ومبتسمًا، وأراه في ممرات الجامعة يضحك وفيه همة ونشاط، ويمشي بمرح وسرور، حتى إني لكثرة ما أراه مبتسمًا سألته: (هل عندك هموم؟ فقال: كثير) ولم يكن يظهرها للناس.

وحرصت على هذا الدكتور أشد الحرص، ودعوت الله له كثيرًا أن يهديه إلى الإسلام، وأخذته معي إلى كثير من المجالس، ثم تحولت علاقتي معه من الدعوة إلى الله، إلى الأنس به، فصرت أقابله للأنس والضحك والسمر معًا، ومرة قالت لي أمي وأنا أتحدث عنه: (لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ).

فذكـرتْ لي هذا الحديث، فكأنها أيقظتني من سـبات عميق، فانتبهت، فإذا النيـة تحولت مع الزمن، من إرادة الهداية والدعوة إلى شـهوة النفس، وهذا يقـع كثيرًا بين بعـض المتحابين في الله، فتبـدأ العلاقـة في حلقات تحفيـظ القـرآن، والـدروس العلمية، والتقـوى والخيـر، ثـم تتحـول مـع الزمن إلـى شـهوات نفس، وانجـذاب الطبائع إلى بعضها، ويتغير أحدهمـا وقد يترك طريق الله، وبعضهـم ينحرف تمامًا، والآخر متمسـك به، نسـي أن النية كانت في البداية لله، ولو راجع نيته وصدق مع نفسـه لوضع نقطة، وبدأ سـطرًا جديـدًا، وفكّر في هذه الصداقـات، وإلى أين تؤدي؟ وهل ستنفعه يوم القيامة أم لا؟

وليس المراد الهجر التام، أو الخصام، بل الانسـحاب برفق، والبحـث عن أخ يجلس معه على منابر من نـور يوم القيامة، ولا يتبرأ منه عندما تتقطع الأسباب.

فعلى طالب العلم أن يفقه مراتب الناس، وأن يضع كل إنسان في مرتبته، وينقل هذا من معرفة إلى صداقة، أو محبة في الله، والعكس فينقل من كان أخًا في الله إلى معرفة عندما يترك طريق الله.

سر الحياة السعيدة؛ التسليم لله

زرت معرض الكتاب في الرياض عام ١٤٤٦هـ، ولمّا أردت الرجوع إلى رفحاء، تذكرت كبيرًا في السن من مدينتنا أصيب بمرض أقعده عن المشي، وهو منوّم في إحدى المستشفيات في الرياض؛ فزرته وحاولتُ أن أقول له كلامًا يسلّيه، ويخفف عنه؛ فقال: **(يا ولدي؛ أنا ماني جازع؛ حنّا زرعه، وهو بكيفه)**

ولأني أعرف صدق هذا الرجل؛ فقد كان كلامه قويًا مليئًا بالتسليم لله **(حنّا زرعه، وهو بكيفه)**..

فكلامه عالجني وداواني؛ وكان على قلّة حروفه أثمن وأغلى وأعمق من كلامي له، كنت أريد وعظه فوعظني وأوفى.

ولو تأملنا في حياة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لوجدناهم تميزوا بأعمال القلوب، صدقها ويقينها، وتسليمها لله، وتوكلها عليه؛ وهذا ما رفعهم، وأعلى منزلتهم، وخلّد ذكرهم، وجعلهم مصابيح، وقدوات.

فهذا هو سر الحياة السعيدة؛ التسليم لله.

إنّ الله إذا استودع شيئًا حفظه

كانت الجامعة تبعد عن مدينتنا ستمئة وثمانين كيلًا، وفي آخر السنوات فُتح طريق جديد يبعد عنها أربعمئة وثمانين كيلًا، وكنت أزور أهلي كل أسبوعين.

وفي كل مرة آخذ حقيبة السفر، وأقبل رأس أمي، وأودعها، تقول لي: (وداعة الله)، وكنت أفهم هذه الكلمة، ولم أدرك عمقها إلى مع السنوات وبعدما كبرت، وكبر أولادي، فصرت كلما قبَّل أولادي رأسي وهم ذاهبون إلى المدرسة، أو غيرها، أستودعهم الله، وأستحضر الحديث (إنَّ اللهَ إذا استُودِعَ شيئًا حفِظَه).

❋❋❋

طريقة صلاح الأولاد

لما كنت في مرحلة الماجستير، أخذت زوجي وأولادي معي إلى القصيم، وسكنّا في شقة متواضعة، وكان معي ثلاثة أطفال، وبعد صلاة المغرب في أحد الأيام، وأنا عند باب المسجد وجدت الشيخ عبدالله بن حمد السكاكر -حفظه الله-، فدعوته إلى الزيارة فأجاب، ونحن نشرب القهوة ونتحدث كان عندنا طفلاي الكبيران، أكبرهما عمره ست سنوات، وكانا يختلفان تمامًا في طبائعهما، فهذا يلعب، وذا ساكت، ولاحظ الشيخ ضيقًا في نفسي من تصرفات الطفل الأصغر، فقال: (**لا تتضايق، فالأطفال يختلفون في تركيبتهم، وجيناتهم، وأكبر دليل، أنت تعاملهما المعاملة نفسها، وأمهما كذلك، وهذا تراه مطيعًا، والآخر تراه عنيدًا، فلا تلم نفسك**) كان حديثه قريبًا من ذلك.

وكنت في ذلك الزمن وقبله أقرأ كثيرًا في كتب تربية الأولاد، وكيف يكون طفلك كذا؟، وكيف تقول لأطفالك؟، والطفل المزعج، والعنيد، وهلم جرا.

وكنت أظن أني سأربي أطفالي كما أريد، وأنهم كالعجين تصنعها كيف تشاء، فلما رزقت الأولاد، وكبروا، ومنهم إناث وذكور، وهذا طبيعته كذا، وتلك طبيعتها كذا، وهذا يستجيب من أول مرة، وذاك يحتاج تنبيهات عدة ليستجيب، وكلامك محسوب عندهم، فإن مدحت هذا، فلا بد أن تمدح هذه، ولا بد أن تعدل بينهم في كل شيء، وهم يلاحظون الوالدين ملاحظة دقيقة جدًا، ف**المهم أنهم ربوني أكثر مما أنا ربيتهم**.

وتوصلت في أمور التربية بعد سنوات بخاصة لما تجاوز نصفهم البلوغ، توصلت إلى أنّ أهم طريقة لصلاح الأولاد الدعاء، الدعاء، الدعاء، والإلحاح على الله، والتبرؤ من الحول والقوة.

وليس غائبًا عن بالي قضية بذل الأسباب، ولكن هذه نسبتها ضئيلة مقارنة بالدعاء، فابذل السبب، ولكن لا تعتمد عليه، فتقول: درّستهم في مدارس خاصة، وأحضرت لهم مدرسين، وابتعثتهم، ودفعت عليهم، وأنا بذلت والباقي على الله، لا، لا؛ فابدأ بالله فكل شيء على الله، وهو الذي ييسر لك الأسباب النافعة الفاعلة المنتجة.

ومما رأيتـه في الواقع أن الوالدين اللذين يحملان قلبًا طيبًا لا غـل فيه ولا حسـد، ويكونان صادقين تمامًـا، في قولهم وفعلهم، يوفقان لصلاح أولادهم، وهذه دراسة قمت بها في الذين أعرفهم مـن حولي، فقد وجـدت أن الوالدين الصادقيـن نظيفا القلب لا يُخـذلان في أولادهم، وقد يبتلي الله بعـض عباده وهم صالحون أنقياء أتقياء ببعض أولادهم، ولله الحكمة البالغة، فلنسلم له.

❋❋❋

لا تنتقصوا جهود من عاشوا فترة البداية

في بدايات القراءة قرأت كتابًا عن العقل المسلم، ولم أكتب منه إلا فائدتين، أحدهما قوله: (**ينبغي للذين يعيشون فترة ما بعد البداية ألا ينتقصوا جهود من عاشوا فترة البداية**)

وكانت هذه الفائدة جميلة، وأنقلها عندما تأتي لها مناسبة، فأجد بعض طلبة العلم ينتقد عالمًا من علماء السلف في مؤلف معين، وهذا العالم هو الذي شق طريق هذا العلم، وكان أول من كتب فيه، أو من أوائل من كتبوا فيه، ولا يخفى طريقة الكتابة في عصرهم وما بذلوا لأجل ذلك، وكانوا يكتبون بأيدهم، وينسخون، وتركوا السعي خلف المال ورضوا بالكفاف أو بتمر وماء، وعاشوا فقراء، والجو حار لا مكيف ولا برادات، وحروب وفتن، وغيرها، ثم يأتي طالب علم -وأحيانًا يكون مبتدئًا- ويجمع عن طريق التقنية الحديثة من هنا وهناك، وعنده كل ملذات الدنيا، ويعيش حياة الترف، ثم يتنقص أولئك الذين فتحوا له الباب، وشقوا له الطريق، وهذا جحود، ونكران لما صنعه العلماء وقدموه، ويدل على لؤم وسوء نفس، ووالله إنه ليحزنني عندما

أرى شخصًا يتنقص عالمًا سخّر حياته للعلم، وترك الدنيا كلها لأجل العلم، أيًا كان هذا العالم، فكيف إن كان هذا من علماء السلف الذين حفظوا لنا العلم، وكانوا سببًا في وصوله إلينا، ولا أقصد الرد المؤدب، وبيان الخطأ إن وُجد، وإنما أقصد تنقص هؤلاء العلماء والتقليل من شأنهم، وجهدهم، وسيقف هو وهم عند الله في المحكمة الكبرى.

وهذا ليس خاصًا بالعلم وأهله، بل في كل أمور الحياة، فلا تتنقص من شق لك الطريق وفتح لك الباب، فأحيانًا تسمع شبابًا يتندرون على والدهم وزمنهم الذي عاشوا فيه، وقد تعب والدهم وكافح حتى جعلهم متعلمين وفي وظائف مريحة أو مناصب مرموقة، ليسوا بحاجة إلى الكدح والعناء ليأكلوا رزقهم، وهذا عقوق، وجحود.

فعندما تستطيع العدّ إلى مليون، أو أكثر، فلا تنس من علمك العدّ من واحد إلى عشرة، فكل الأرقام تبنى عليها.

❋❋❋

إذا غضبت فأجل الرد إلى الغد

سمعت شيخًا يقول: (**إذا أتتك رسالة بالجوّال فأغضبتك، فأجّل الرد إلى الغد، فحينها إما أن تجيب جوابًا هادئًا متزنًا، أو ترى أنها لا تستحق الرد**) أو نحوه.

وهذه الطريقة جميلة، فالإنسان عندما يرد على الفور، فقد يكتب وهو غضبان كلامًا يندم عليه، فإذا أجّل الرد، فإنه في الغالب لن يرد، أو يرد بهدوء، أو يكتب جزاك الله خيرًا، والغالب – أيضًا– أن الرد الهادئ، أو عدم الرد يغيض الطرف الآخر أكثر من الرد المشحون بالسب والكلام غير المتزن.

وقد رحمني الله بهذه الوصية في كثير من المواقف، فأقرأ كلامًا لأحدهم وأريد الرد، وليس بالضرورة أن يكون الكلام موجهًا لي، بل في قضية أخرى في العلم، أو الكتب، فعندما أرى توترًا في نفسي، أترك الرد، وأذكر أني أردت إرسال رسالة لأحد الأصدقاء أعاتبه على أمر ما، وكنت غضبان عليه، وكان الوقت عصرًا فلما كتبتها، وقبل الإرسال تذكرت وصية هذا الشيخ، فقلت: أرسلها غدًا.

ثم سافرت في الليلة نفسها إلى قرية قريبة لأحضر زواجًا، فتعطلت السيارة، فإذا بصاحبي كان متوجهًا للزواج نفسه، فتوقف وأخذني معه إلى الزواج، وكنت فكر وأنا معه في السيارة: كيف لو كنت مرسلًا له الرسالة عصر اليوم؟ كيف أقابله؟ وكيف أركب معه في السيارة؟ فحمدت الله أن نجاني بهذه الوصية من موقف محرج.

❋❋❋

لا تقرأ في قوقل ثم تأتي وتناقشني

دخلت على طبيب وكنت أشكو من ألم في بطني، فقال لي شيئًا نسيته الآن، ثم أردت مناقشته في هذا الألم، وطريقة الفحص، فقال: (**لا تقرأ في قوقل ثم تأتي وتناقشني**).

وكان جوابه محرجًا لي، وخرجت منه غضبان ثم بعد زمن تبين لي صدقه، وأن قوله الحق في هذه القضية وغيرها، فأحيانًا نقرأ في (قوقل) وغيرها من الوسائل قراءة عابرة، ثم نأتي ونناقش متخصصًا فيها، فلا ننتفع بكلامه، ولا نُسلم له، ولا نريحه من معلوماتنا المغلوطة التي تأخذ منه وقتًا وهو يحاول محوها من أدمغتنا، فنصف المعلومة أضر من عدمها.

وقد يكون الضرر كبيرًا بخاصة في قضيتين:

القضية الأولى: الطب، فأحيانًا يصاب المرء بمرض ثم لا يرجع لمختص، بل يقرأ في قوقل، فيجد أنّ أناسًا يتحدثون عن الأعراض ذاتها التي أصابته، وأخذوا الدواء الفلاني فشُفوا، فيظن أنه يعاني من المرض نفسه، وهو يختلف معهم في المرض وإن

اشترك معهم في الأعراض، أو قد يكون مثلهم في المرض، ولكن الدواء غير مناسب له، إلى غيرها مما تسببه القراءات السطحية والعابرة من أضرار وتخويف وقلق.

والقضية الثانية: الدين والفتوى، فعندما يأتيه أمر ديني مباشرة يذهب إلى قوقل ويكتب عن هذا الأمر ثم يقرأ كلامًا لأحد المشايخ فيأخذ به، وقد يكون هناك فرق بسيط في قضيته، أو في الفتوى التي وُجهت للشيخ، فيظن أنهما متطابقتان فيأخذ بهذا الحكم، وقد مر بي كثيرًا أن أحدهم يسأل سؤالًا فأذكر له الحكم، فيقول ولكن قرأت في قوقل كذا، فأقول هذه قضية أخرى، وهناك فرق بينهما؛ لذا على العاقل أن يرجع إلى أهل الخبرة والتخصص ويسمع كلامهم، ولا يأخذ معلومات قد لا يحسن فهمها الفهم الصحيح، والحمد لله أن يسر لنا الوصول لكل مختص بأيسر طريق وأقربه.

❋❋❋

ما البديل؟!

قرأت في مقالة كلامًا مفاده: (**أنه قبل أن تتخذ قرارًا في كثير من أمورك، أو تنصح أحدًا ليتخذ قرارًا في بعض أموره فاسأل نفسك: ما البديل؟!**) أو نحوه.

وهـذا السـؤال جميل جـدًا، فأحيانًا تـأتي امرأة إلى شـيخ أو مستشـار تشكو زوجها فيقول لها: تطلقي! والمفترض قبل أمرها بالطلاق، أن يسألها عن البديل، فقد تكون حياتها مع زوجها خيرًا من البديل الآخر.

وأحيانًـا يجد شـخص صديقه يعمـل في وظيفـة راتبها قليل، فيقول له: لم تعمل هنا؟! فهل عنده بديل قبل أن يقول هذا؟

هل يريده أن يجلس ويكون عالة على والديه ومجتمعه؟

وكذلك في أمور كثيرة، فكثير من الناس يوزعون النصائح قبل أن يفكروا في حال المنصوح، فقد يكون بقاؤه أفضل ألف مرة من نصيحتهم.

فقبل تقديم النصيحة أو الاستشارة أو اتخاذ قرار فكّر في (البديل).

ما هو واقف ببابك

كنت جالسًا مع والدي، فقلت له: لا أحب فلانًا!، فقال: (ما هو واقف ببابك).

وإن كان جوابه محرجًا لي، وكنت أتمنى أن يشاركني الحديث، ولكنه جبهني بهذا الجواب، وكلامه عين العقل؛ فالناس ليسوا بحاجة لنا، ولا لحبنا، ولا يضرهم عدم حبنا، ولا كرهنا لهم (فرق بين عدم الحب، والكره، فعدم الحب ليس بالضرورة أن يكون كرها)، فالمفترض أن نحتفظ بمشاعرنا تجاههم، فلعل الله أن يغير الحال، فينقلب المكروه محبوبًا فنندم على تصريحنا بمشاعرنا تجاههم.

وأيضًا نحن لسنا مسطرة الحق ومقياسنا هو المقياس الدقيق المنضبط، فكم كرهنا شخصًا هو أفضل منّا، وفيه من الخير والبر ما لم نصل إليه.

ثم؛ ولو كان الشخص يستحق كرهنا له أو عدم حبنا له فإن الناس لا علاقة لهم بأن نسمم أذهانهم عن أناس لم يصلحوا لنا،

أو لم يناسبونا، وقد يكونون مناسبين لهم تمامًا، وما من شك أن باب التأويل مفتوح على مصراعيه، فنبرر لحبنا وكرهنا، ونبرر لغيبتنا للناس وتشويه سمعته، ونزداد من ظلمهم ونحن لا نشعر، وسنقف نحن وإياهم بين يدي الله، والله المستعان.

❋❋❋

فائدة كتب الأصول

درَّسنا في مرحلة الدكتوراه أستاذ في الأصول من أحد البلدان العربية، وبعدما انهيت الدراسة، وقبل السفر، زرته، وطلبت منه وصية، فقال: (**اعكف على كتب الأصول**)، فقلت: كم سنة يحتاج الأصول؟، فقال: (**اجلس على ذلك عشر سنوات**)، فظننت أنّ في ذلك مبالغة، وكنت قبل قوله قد قرأت عددًا لا بأس به منها، ولكن كانت قراءة فوضوية غير مرتبة.

ولم يكن في نيتي أنْ أعكف عليها كما قال، ولكني انتخبت كتابًا واحدًا وهو شرح الكوكب المنير لابن النجار، فكررته، فكلما انتهيت منه أعدته، وبعد سنوات من التكرار، أيقنت بفائدة الأصول في كل العلوم، بل في الحياة العامة وفي تربية الأولاد، فالأوامر منها الملزم وغير الملزم، وعلى الفور والتراخي، والمرة والتكرار، وأحاديث الناس منها المنطوق والمفهوم، فكثير من خلافات الناس بسبب مفهوم المخالفة، بأن فلانًا قال كذا، وهو يقصد كذا، وقد يكون فلان لم يطرأ في باله هذا المفهوم، وفي النقاشات مع الناس ينفع الأصول في إقامة الحجة، والرد على

الشبهة، وأذكر أني دخلت مكانًا وكان فيه شخص يثير شبهات على من حوله، وكانوا أشبه بالعوام في العلم، فقرأ عليهم قول الله: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [سورة الشورى: آية ٧]، فقال: الرسول أرسل لأم القرى وحدها ولم يرسل لجميع أهل الأرض، فقلت له: هناك آيات تدل على إرسال الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعالمين جميعًا، ومنها قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سورة سبأ: آية ٢٨]، وغيرها، وهناك قاعدة أصولية وهي (ذكر فرد من أفراد العام بحكم العام لا يخصصه)، فذكر أم القرى ومن حولها لا يعارض العالمين ولا الناس جميعًا، فلو قلت: أكرم الطلاب المتفوقين، ثم قلت: أكرم فلانًا، فذكرك لفلان لا يعارض إكرام الطلاب المتفوقين، بل يدل على أنه منهم متفوق، فقام وخرج من المجلس غاضبًا، ولم أكن حريصًا عليه، بل كنت حريصًا على من عنده، وقد نجاني الله بهذه القاعدة الأصولية لرد هذه الشبهة.

وقد زرت شيخًا قبل خمس عشرة سنة في بيته، وكان عمره في أواخر الخمسين، وقال عن نفسه: إنه آخر مرة قرأ في الأصول في الجامعة عندما كان طالبًا، ثم يسر الله لي أنْ أقرأ بعض كتبه،

وكانت في الفقه، فوجدت تناقضات عجيبة فيبحث المسألة مرتين في موضعين فيرجح ترجحين والقاعدة الأصولية للمسألة واحدة، والسبب أنه اعتمد هنا على كتب الحنفية، وهناك على كتب الحنابلة، والمصطلح للمسألة يختلف فيهما، أو يبحثها في أول الكتاب فيرجح ترجيحًا، وفي آخر الكتاب يرجح ترجيحًا آخر، ولو كان متضلعًا من الأصول لاطرد في ترجيحاته، أو كان خروجه عن القاعدة لمرجح آخر ويكون مستحضرًا هذه القاعدة وسبب الاستثناء، ومن قرأ كتب العلماء المتضلعين بالأصول لوجد عندهم اطرادًا في الكتاب كاملًا، وفي أول حياتهم وآخرها، وحتى لو خالفوا القاعدة يبينون سبب المخالفة.

وطالب العلم إذا قرأ في الأصول كثيرًا وحرص على فهمها سيستفيد في بحوثه وشروحه، ويجد أن مناقشاته العلمية متينة، وواضحة ومنطلقة من قواعد ثابتة.

وقد افادني تكرار كتاب واحد في استحضار المواضع وكلام العلماء في كثير من القضايا، وقد كنت قرأت قراءات متنوعة في فنون كثيرة، ولكن لم أمسك منها شيئًا إلا نتفًا من هنا ومن هناك،

ولما لزمت كتابًا واحدًا وجدت أني أستحضر المسألة، وأذكر أنها مرت عليّ في الكتاب؛ فإما أن أتذكر الرأي فيها واضحًا، أو أرجع إلى الكتاب وأتبينها.

❊❊❊

أنا متصالح مع نفسي

أقامت الجامعة دورة، وحضر عدد من الدكاترة، والموظفين، وفي أحد الأيام أوقف المدرب الشرح وأعطانا فرصة للقهوة وإعادة النشاط، فجلست على إحدى الأرائك وجلس على الأريكة المقابلة شاب أصغر مني بعشرين سنة تقريبًا، وهو موظف جديد في الجامعة، ومن العادة أن يكون حديث زملاء العمل عن العمل، فدار الحديث، وكان الغالب عليه الأمور التي نتضايق منها، فلم يشاركني الحديث في هذه الأمور، وقال: (**أنا متصالح مع نفسي**)، فكأن كلمته اخترقت أعماق عقلي فاستقرت فيها، ووجدت أنها كلمة عميقة، فما الفائدة من الشكوى والتذمر، فأتصالح مع نفسي ولا أكلفها شططا، ولا ألزمها بسيرة غيرها، وأتعايش مع الأمور التي لا أستطيع تغييرها، وفي ذلك راحة تامة، واستقرار، وبعد مدة تبين لي أنّ هذا الموظف يحمل شهادة في تخصص جميل، ولم يجد إلّا وظيفة بربع الراتب المقرر لهذه الشهادة، فرضي بذلك، ولم يندب حظه أو يلم الزمن، ولم يلتفت يمينًا وشمالًا، وكان متميزًا في عمله.

فالقاعدة هذه جميلة، عندما يتصالح المرء مع نفسه، وتكون مقارنته مع نفسه فقط، ويطوّر نفسه حسب إمكاناتها، ولا يلزم نفسه بحياة غيره، أو يشارك الناس في الشكوى والتذمر، وهي قريبة من قاعدة التعايش مع القدر وعدم معارضة القدر الذي لا يمكن تغييره، والرضا والتسليم.

❋❋❋

كنّ أنت طالب العلم الذي تريد

في إحدى الجلسات كان هناك طالب علم قديم، ترك طلب العلم من سنوات، وكان حديثه في سب طلبة العلم، وبيان أخطائهم، والموبقات التي يقومون بها، وكان عنده كشكول في ذهنه جمع فيه أخطاء المتدينين وطلبة العلم، فينشرها في كل مجلس، -وقد عشت مع طلبة العلم والمتدينين من ثلاثين سنة، فوجدت أنّ أول خطوة للشيطان ليترك الشخص أهل الخير وطلبة العلم أن يسلّطه على أخطائهم، ويكبِّرها في عينيه، ويجعله يركز عليها، فإذا رأيتُ واحدًا جُلّ حديثه في أخطائهم، فأوقن أنها مسألة وقت وسيتركهم وطريقهم، وهذه قاعدة مطردة حتى مع أناس كانوا مضرب مثل في العلم والتدين-، فالمهم أن هذا الشخص كان يتحدث ويسرد الأخطاء، فقال له أحد الأخيار: (**كنّ أنت طالب العلم الذي تريد، أو المتدين الذي تريد**)، فقد أعطاه هذا الأخ هذه الكلمة والتي تعد امتحانًا للصدق، فإن كنت حريصًا على المتدينين وأهل العلم فكن أنت قدوة لهم في أخلاقك،

وكـن أنموذجًـا للمتدين وطالـب العلم، فأنت بصيـر بالأخطاء، وأما أن تجمع الأخطاء لتبرر انتكاسـتك وتركك للتدين وهجرك للمسـاجد وكسـلك في الخير، فهذا لا يُمرَّر علينا، ولن تقنعنا به، فنحـن نعلم أنهم بشـر، وعندي وعندهم وعنـدك من الأخطاء ما الله بهـا عليم، وهـم على أقل أحوالهم خيـر مجتمعاتهم، وأفضل الموجـود، فلـمَ لا تبحث عـن الخير الذي فيهـم، والجهود التي يقومـون بها، ولمَ صرت حمَّال الحطب في طريقهم، والأولى بك أن تكون حمّال الورد؛ لأنك كنت منهم وعرفت الطريق ومشـقته والصبر والمصابرة عليه، فقل خيرًا أو اصمت.

❋❋❋

من وجد قيام الليل وجد الحياة

سمعت أحد الدكاترة يقول عن نفسه أنه لم بلغ عمره أربعين سنة زار عددًا من المشايخ يطلب منهم الوصية لعمر الأربعين، فكلهم اتفقوا على وصيته (بقيام الليل)، ولم يعلم أحدهم عن الآخر، فمع اختلاف أماكنهم فقد اتفقوا على هذه الوصية.

وهي وصية عظيمة، وقد قرأت سير كثير من المشايخ المعاصرين، فكان قيام الليل جزءًا من حياتهم، ولم أجد شيخًا أو عالمًا بارك الله فيه، وليس من أهل قيام الليل.

وأذكر أني أرسلت لأحد المشايخ أني أريد زيارته، فقلت له يناسبني بعد صلاة العشاء، فقال: لا، غدًا بعد صلاة العصر، فلما زرته، قال لي: من سنوات تركت الوقت بعد صلاة العشاء لي، وتركت المجاملات في ذلك، فلا أستقبل أحدًا، ولا أذهب لأحد، وقد فهمت دون أن يصرّح أنه ترك آخر الليل لمناجاة الله، وهنيئا بهذه المناجاة، **فمن وجد قيام الليل وجد الحياة.**

هذه بعض الكلمات التي نفعني الله بها، ولا أزعم أني أمتثلها تمامًا، أو أطبقها مئة بالمئة، ولكن أجاهد النفس، فأصيب وأخطئ، وأتذكر وأنسى، والله يغفر لي ويعفو عني، وأسأله كما نفعني بها أن ينفعك بها، وأن يبارك فيها، وفيك أخي القارئ الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

❋❋❋

الفهرس

- مقدمة ٦
- تراكم المعرفة مع استمرار القراءة ٥
- إدارة الوقت ٧
- لا تدقق ولا تقارن ١١
- إذا خرجت من المجلس لا تفكّر فيه ١٤
- كلّم اللّي فوق ١٥
- الله يدل مكانك إذا أراد أن يبارك فيك! ١٧
- هناك أبواب كثيرة إلى الله ١٨
- وفي السماء رزقكم وما توعدون ٢٠
- أستحضر أن خلفك طلابًا وأناسًا تعلمهم ٢٢
- التدرج في طلب العلم ٢٤
- لا تستغرق في مشاعرك وتنسَ ما حولك! ٢٨
- اكتب عمَّا تريد، ولا تكتب عمّا لا تريد ٣٠
- المقارنة علامة على ضعف تقدير الذات ٣٢
- المجالس الخاصة ٣٥
- لا تقاوم النوم ٣٩
- من أسباب توقف طالب العلم والداعية ٤٠

- شارك الناس فرحهم بك ٤٢
- لا تترك القراءة في كتب السلوك والرقائق ٤٣
- أنجز العمل ولا تؤجله ٤٥
- معرفة العقول من الأفعال ٤٦
- احرص على العنوان الذي فيه نفع ٤٩
- اقرأ ثم اكتب باختصار ما قرأته بأسلوبك ٥١
- لا تقلل قيمة بحثك وعملك ٥٢
- كلما جاءني ضيوف دعوت الله أن يسعدهم عندي ٥٥
- تجارب وخبرات يُستفاد منها في الحياة ٥٩
- وكم من كتاب كان سببًا للضلال ٦١
- القلق يأتي في بداية المراحل الجديدة ٧٠
- تخصص الشريعة بحاجة لأذكياء ٧٢
- لا تغتر بمظهر الشخص ٧٤
- هذا قرارك داخل بيتك ٧٦
- قضية الرياء ٧٧
- لا تصاحب إلا مؤمناً ٧٩
- سر الحياة السعيدة؛ التسليم لله ٨١
- إنّ الله إذا استودع شيئًا حفظه ٨٢

- طريقة صلاح الأولاد ٨٣
- لا تنتقصوا جهود من عاشوا فترة البداية ٨٦
- إذا غضبت فأجل الرد إلى الغد ٨٨
- لا تقرأ في قوقل ثم تأتي وتناقشني ٩٠
- ما البديل؟! ٩٢
- ما هو واقف ببابك ٩٣
- فائدة كتب الأصول ٩٥
- أنا متصالح مع نفسي ٩٩
- كنّ أنت طالب العلم الذي تريد ١٠١
- من وجد قيام الليل وجد الحياة ١٠٣
- الفهرس ١٠٥